انوار التنزيل
واسرار التأويل

البيضاوي

٢١٢ / أ.ب

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف البيضاوى، عبد الله بن عمر. كتب في القرن الثاشر الهجرى تقديـــرا.

٢٨٤ ق ٢٧ س ٢٥٫٥×١٦سم

١٧٤٠ نسخة حسنة، خطها مختلف بعضه نسخ جيد وبعضه حسن وبعضه معتاد، طـــبع.

الاعلام ٤: ٢٤٨، معجم المطبوعات ١: ٦١٧

١- التفســير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف ب- تاريخ النســخ.

انوار التنزيل

١

بسم الله

اعلم هداك الله الى الرشاد وايدك بالسداد ان النحاة اختلفوا في ذلك الذي يؤتى اسم اشارة فالكوفيون على ان الذال ... اسم الاشارة والالف زيدت لتكثير الكلمة ... والاقوى على ان الالف من جملة الاسم وذا الاسم ...
الاسم اسم ظاهر وليس في الكلام اسم ظاهر على حرف واحد حتى يحمل هذا عليه ...

[illegible]

الدين هو الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي يسمى من حيث الانقياد له
دينا ومن حيث على ومسلى للناس ملة ومن حيث يبينها الدعم
او من حيث يرد على الوارد دون المتعطشون الى زلال نيل الكمال
شرعا وشريعة والدين يضاف الى الله والى النبي والى آحاد الامة
والملة الى النبي والى الامة وكذا الشريعة

من حاشية تفسير
ملا عصام الدين
في آخرها

٧

علم التفسير هو العلم الباحث عن احوال الكلام الله تعالى من حيث الدلالة على المراد وقيل التفسير اى ما يتعلق بالرواية والتأويل اى ما يتعلق بالدراية

الاعراف والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون

اللغة استنباط المعنى عبارة الفرع على الاصل

القصص بالكسر جمع قصة وبالفتح المصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات المحكمات هى التى احكمت اياتها بان حفظت من الاجمال ... ام الكتاب اى اصله ... والآيات المتشابهات هى المحتملات التى لا يتضح مقصودها لاجمال فيها او مخالفة ظاهر بالفحص ... والراسخ فى ... معالى الدرجات

نقل عن خط ابن مكى رحمه الله قيل اى القرآن العزيز ستة الاف وستمائة وست وستون اية الف وعد والف وعيد والف امر بطاعة الله والف نهى عن معصية الله تعالى والف خبر وامثال والف قصص واخبار وخمسمائة اية حلال وحرام ومائة اية تسبيح ودعاء وست وستون ناسخ ومنسوخ وثلثة وثلثون محكم وعند اهل المدينة ستة الاف ومائتان وسبع عشر اية وحروفه مائة الف واحد وعشرون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا فالتفسير بيان ما يحتمل اللفظ احتمالا ظاهرا والتأويل بيان ما يحتمل المعنى احتمالا باطنا موجودا متعالقة كقوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى معناه يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان هذا تفسير وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن هذا تأويل لانه معقول قيل اسماء الله تعالى توقيفية يعنى موقوفة على السماع بانها وقعت فى القرآن والحديث وقيل الاجماع فى حكم الاسماع وقيل توصيفه يعنى يمكن باى صفة كانت اذا لم يكن الطلاقه عليه سوء الادب

الامام الغزالى ... والرازى

سورة الفاتحة ١	سورة البقرة ٦	سورة آل عمران ٧٤	~~سورة المائدة~~	سورة النساء ٩٧	سورة المائدة ١٢١	سورة الانعام ١٤٠	سورة الاعراف ١٥٩
سورة الانفال ١٧٨	سورة البراءة ١٨٨	سورة يونس ٢٠٤	سورة هود ٢١٥	سورة يوسف ٢٢٩	سورة الرعد ٢٤٣	سورة ابرهيم ٢٤٩	سورة الحجر ٢٥٦
سورة النحل ٢٦١	سورة بنى اسرائيل ٢٧٣	سورة الكهف ٢٨٥	سورة مريم ٢٩٦	سورة طه ٣٠٤	سورة الانبياء ٣١٥	سورة الحج ٣٢٣	سورة المؤمنين ٣٣٥
سورة النور ٣٣٢	سورة الفرقان ٣٤٢	سورة الشعراء ٣٥٥	سورة النمل ٣٦٣	سورة القصص ٣٧٥	سورة العنكبوت ٣٢٢	سورة الروم ٣٨٣	سورة لقمان ٣٨٨
سورة السجدة ٣٩١	سورة الاحزاب ٣٩٢	سورة سبا ٤٠١	سورة الملائكة ٤٠٧	سورة يس ٤١٢	سورة الصافات ٤١٨	سورة ص ٤٢٦	سورة الزمر ٤٣٢
سورة المؤمن ٤٤٠	سورة حم السجدة ٤٤٦	سورة حمعسق ٤٥٠	سورة الزخرف ٤٦٠	سورة الدخان ٤٥٩	سورة الجاثية ٤٦١	سورة الاحقاف ٤٦٣	سورة محمد صلى الله عليه ٤٦٦
سورة الفتح ٤٦٩	سورة الحجرات ٤٧٢	سورة ق ٤٧٤	سورة الذاريات ٤٧٧	سورة الطور ٤٧٩	سورة النجم ٤٨١	سورة القمر ٤٨٣	سورة الرحمن ٤٧٥
سورة الواقعة ٤٨٧	سورة الحديد ٤٨٩	سورة المجادله ٤٩٢	سورة الحشر ٤٩٤	سورة الممتحنة ٤٩٦	سورة الصف ٤٩٨	سورة الجمعة ٤٩٩	سورة المنافقين ٤٩٩
سورة التغابن ٥٠٠	سورة الطلاق ٥٠١	سورة التحريم ٥٠١	سورة الملك ٥٠٣	سورة ن ٥٠٥	سورة الحاقة ٥٠٧	سورة المعارج ٥٠٨	سورة نوح ٥٠٩
سورة الجن ٥١١	سورة المزمل ٥١٢	سورة المدثر ٥١٣	سورة القيمة ٥١٥	سورة الانسان ٥١٦	سورة المرسلات ٥١٨	سورة النبأ ٥١٩	سورة النازعات ٥٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سو
من سوره مصاقع الخطبا من العرب العربا فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته
من فصحا عدنان وبلغا قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم
حسبما عن لهم من صالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف
قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب
تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك
والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام
واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان
له قلب والقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه راسه
واطفى نبراسه يعش ذميما وسيصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الجود ويا غاية
كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه
تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما
كثيرا **وبعد** فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير
الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه
والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا
يحتوي على صفوة ما بلغني من عظما الصحابة وعلما التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين
وينطوي على نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين
واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراات المشهورة المعزية الى الايمة الثمانية المشهورين والشواذ
المروية عن القرا المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب
في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصـ

...ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التاويل فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه
...وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سول **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه
...فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثنا على الله تعالى
...تعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
...التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعدا ومنازل الاشقيا وسورة
...الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعا وتعليم المسيلة لاشتمالها عليها
...الصلوة لوجوب قراتها او استحبابها فيها والشافية والشفا لقوله عليه السلام
...شفا كل دا والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية آية دون انعمت عليهم
ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة
حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
وهو مكي بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قرا مكة والكوفة وفقهاهما وابن المبارك والشافعي
وخالفهم قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله
فيه بشي فظن انها ليست من السورة عنده وسيل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا
احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال فاتحة الكتاب سبع آيات اوليهن بسم الله الرحمن الرحيم
وقول ام سلمة قرا رسول الله الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها
اختلف انها آية براسها ام بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والبا متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقرو وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك
اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول هاهنا
اوقع كما في قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم
واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم و
لا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر وقيل
البا للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا
كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما
وبين لام الابتدا والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسما التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال
وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا

على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه
قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو
لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة
الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم
قال بسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير
قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك
وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ
لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته من النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب
او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ
ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو
ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن
ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله
فحذفت الهمزة وعوض عنه الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله
في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية
بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان
اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه
وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع
بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله
ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح
ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع
لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر
كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه
لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله
الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن الرحيم فانه لا يمنع الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه
بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم ~~مثل الشركة والحق انه وصف في اصله لكنه~~ الثريا والصعق اجري
مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو
بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص

لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين
مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها
بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم
سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر
الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال **بسم الله الرحمن الرحيم**
اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب
وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة
البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار
الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم
الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي
من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي
البالغ في الرحمة غايتها وذلك الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم
ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل
الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر
الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي والاظهر انه غير مصروف
وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه
الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو
مولي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق و
يشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها
والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته
وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد راس
الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب
وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر
التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كل احد ان

الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما
قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه
وقرئ الحمدِ لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة

رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به
للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ
ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كساير
اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل
عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض
يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات
كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره
للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين** قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل
الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة
كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملْك بالتخفيف
وملَك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالكٌ بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ
محذوف وملكٌ مضافا بالرفع والنصب يوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع
كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة
او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة
وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه
او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم
بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق
بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له
وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد

فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث
للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق
الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد
ووصف بصفات عظام تميز بها عن ساير الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من
هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وكان المعلوم صار عيانا والمعقول
مشاهدا والغيبة حضورا بني اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل
في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره
وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا
من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول
من اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم
وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقول امرئ القيس ٭ تطاول ليلك بالاثمد ٭ ونام الخلي ولم ترقد ٭ وبات وباتت له ليلة ٭ كليلة
ذي العاير الارمد ٭ وذلك من نبإ جاءني ٭ وخبرته عن ابي الاسود ٭ وايا ضمير منصوب منفصل و
ما يلحقه من الياء والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها
لما فصلت تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة
اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما
ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول الة
ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية
تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه
وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير
المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج
عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها و
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك
وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه

والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود صح

والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف صح

الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس ومنتسبة اليه ولذلك فضل
ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معى ربى سيهدين
الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم
ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك
تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم
له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى
لغة بنى تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط**
المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود
الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
على التهكم ومنه الهدية وهوادى الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام
او الى فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها
عد لكنها تنحصر فى اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل
والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى
او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه
من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا
طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك
والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط
الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا
ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير
ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت فى الامام
وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتانيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل
هو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وهو فى

حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه
بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذى لا خفاء فيه ان الطريق
المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى يستلذها
الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهى اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى والاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان روحانى
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن
والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى تزكية النفس عن الرذائل
وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول
الجاه والمال والثانى ان يعفو ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين
والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر
غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين
سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم الذين سلموا من الغضب
والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى
فى قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى وقولهم انى لامر على الرجل مثلك فيكرمنى او جعل غير معرفة بالاضافة
لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن
كثير نصبه على الحال والعامل انعمت او باضمار اعنى وبالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم فى
محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما فى غير من معنى النفى فكانه قال لا المغضوب
عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا
مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوى عمدا او خطأ وله عرض
عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه
والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روى مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب
عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به
فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
فى القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين
بالهمزة على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله

عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ورحم الله عبدا قال
آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عم علمني جبريل آمين
عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين
ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه السلم كان اذا قرأ ولا الضالين
قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رحمة الله عليه رحمة واسعة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه
كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين
فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله عم قال لأبي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما بينا رسول الله عليه السلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان رحمه الله عليهم ان النبي عم قال ان القوم
ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله
فيرفع عنهم العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون بسم الله
الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت
منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك
عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله
فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى
الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت
مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه
ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين
ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب
منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم
مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان
بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس
فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى
في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي

حروف المعجم ان لم تعد الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عدت فيها الالف مشتملة على انصاف
انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء
والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية
المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي
الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند
خروجها وهي قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد
الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء
نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره
ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة
اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في اجدف والعين في اعن والثاء في
ثروغ الدلو والباء في يا اسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد
والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم
والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي
الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام
من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما قاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والسين
والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية
التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز
عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت
الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية
ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا
الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات
لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها
في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف
ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلث عشرة سورة تنبيها على ان
اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها
على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم يعد باجمعها
في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به

مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اسما فادد ورد والوجه الاول اوفق لطايف التنزيل واقرب الى التحقيق واسلم من لزوم النقل ووقوع

بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه باشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو المقصود من العلم وقيل انها اسماء القرآن

لو لم يكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن ... اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول

التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف

لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على ... اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه

لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثر الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وعن غيرهم

على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في ... الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ

قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه والخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء

وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعن ... الجزاء او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى

ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود

او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه لما اتاه اليهود تلا عليهم ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع

الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله

غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب ... وتعلق بكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه

وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين ... لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث

الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص

لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في ... وطسم ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه

في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة

تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة ... القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا او ... ادى به

والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور لا يقتضي ذلك ... السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب

لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس رضي الله عنه ... الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة

فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من ... بالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع

متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فيلحق ... بهذه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد

بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم

الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة ... في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا

بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر ... معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة

وطايفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر ... ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع

المقصود من العلمية

منزلها

مستهل الشيء اوله

قطرب اسم رجل من التابعين وهو واحد من المفسرين

الى مدد صح

حساب الجمل بتشديد الميم وقد يخفف قاموس

بحيث

تخصيص

قوله ناهيك اي حسبك وكافيك واصله من النهي كانه ينهاك عن طلب دليل سواه

على ما يوصلهم

صفة للتقوى والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها
لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة و
طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في
الاصل مصدر كالسرى والبكى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل
مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى
الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته
لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل
واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه
نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين
منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع
نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك
قوله والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند
وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق
وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية تحتمل وجوها من الاعراب ان
المبتدا على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص
مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ
درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وريب في المشهورة مبني لتضمنه
المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي
ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول
تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال
او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير
هدى وان يكون ذلك مبتدا والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان
كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم وان يكون الخبر …
او لا يخلو ان الكتاب صفته والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة

العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب
جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين
… يؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله وتستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل
للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج
منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك
والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف
والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل
وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار
الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه **الذين يؤمنون بالغيب**
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه
ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على
ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب
واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب
او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين
تاما والايمان في اللغة التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء
لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة
كلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة
والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند
الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى
اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه
العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو
متعين الارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود

اي بعد كون الايمان هو التصديق وحده اختلف اهل هذا المذهب …

اولابد من الاقرار للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم
للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل
وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان اي معمولا للايمان واوقعته موقع المفعول به
وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود
قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون
بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها
من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال
اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فاذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت
كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه
وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها
بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه
على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع
والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح
والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا
بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي
يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في
نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم**
ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه
بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى
انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب
المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص

ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي
به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان
ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا
الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه
بها لاقترانه بما هو شقيقها واخوها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية
عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة
والباطنة ويؤيده قوله ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة
يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك**
هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة
المتقين دخول الخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل
ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة
والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها
على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر
جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق
المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى
تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه والمراد بما انزل اليك القرآن
باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا
للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
منزلا كله وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا
من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش
وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة
لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة
اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض
بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك

والشبهة عنه بالنظر والاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة
تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره
لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **أولئك على هدى من ربهم**
الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم
خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى اخر الآيات والا فاستيناف لا محل لها وكأنه نتيجة
الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت
الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة
وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان
بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه
وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة
النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه
ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله
مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة **وأولئك هم المفلحون**
كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في
تمييزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم
اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة
للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر
وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة
المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله
احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة
في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم
الفلاح له رأسا **ان الذين كفروا** لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم

التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم
الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم
في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء
معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول
ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي
بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط
بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سؤال عن قيامه وان عبد الله
لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد
بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه
والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر
ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما
كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة
بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا
يستلزم حدوث الكلام كما في العلم **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**
خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه
خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له
اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه
كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا
عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن
معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع

الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية
بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى الجمع بين الساكنين على غير حده وبتوسيط الف
بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه
او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون
فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا
سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى
عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ
ولذلك قال تعالى سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق
وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره
نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب
الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح
فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم
لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل
بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء
ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله
تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم
واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في
قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم

التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا اطال غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى
اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على
تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله لم يكن الذين كفروا الآية
السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون
عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على
قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما
من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن
فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم
ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى
حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع
ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل
والمعرفة كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية
لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة
الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح
مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما
يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه
يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا
يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض
والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس
بسائر ما يجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس
وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله **ومن الناس من يقول آمنا**

بالله وباليوم الآخر فتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنّى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً ولم يلتفتوا لفتة رأساً
ثلّث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلاً للتقسيم
وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله لأنهم موّهوا الكفر وخلطوا به خداعاً واستهزاء ولذلك طوّل في بيان خبثهم
وجهلهم واستهزأ بهم وتهكّم بأفعالهم وسجّل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الأمثال وأنزل فيهم إن المنافقين
في الدرك الأسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرّين والناس أصله أناس لقولهم إنسان
وأنس وأناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله إن المنايا يطّلعن على
الأناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال إذ لم يثبت فُعال في أبنية الجمع مأخوذ من أنس لأنهم يستأنسون بأمثالهم
أو آنس لأنهم ظاهرون مبصرون ولذلك سمّوا بشراً كما سمّي الجن جنّاً لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
إذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أو للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبيّ
وأصحابه ونظراؤه فإنهم من حيث إنهم صمّموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فإن الأجناس إنما تتنوّع بزيادات يختلف فيها أبعاضها
فعلى هذا يكون الآية تقسيماً للقسم الثاني واختصاص الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الأعظم من الإيمان وادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه وإيذان بأنهم منافقون
فيما يظنون أنهم مخلصون فيه فكيف فيما يقصدون به النفاق لأن القوم كانوا يهوداً وكانوا يؤمنون بالله وب
اليوم الآخر إيماناً كلا إيمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وأن الجنة لا يدخلها غيرهم وأن النار لن تمسّهم
إلا أياماً معدودة وغيرها ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل إيمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وإفراطهم في كفرهم
لأن ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم هي هي لم يكن إيماناً فكيف وقد قالوه تمويهاً على المسلمين
وتهكّماً بهم وفي تكرير الباء ادعاء الإيمان بكل واحد على الأصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد
ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصوَّر في النفس المعبَّر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازاً والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر إلى ما لا ينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين**
إنكار ما ادّعوه ونفي ما انتحلوا إثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل
لكنه عكس تأكيداً ومبالغة في التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان
ولذلك أكّد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء ويحتمل أن يقيّد بما قيّدوا به
لأنه جوابه والآية تدل على أن من ادّعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً لأن من تفوّه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمناً والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يخادعون**

الله والذين آمنوا الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتُنزله عما هو بصدده
من قولهم خدع الضبّ إذا توارى في جحره وضبّ خادع وخَدِع إذا أوهم الحارش إقباله عليه ثم خرج من باب آخر
وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة والأخدعان لعرقين خفيّين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله
ليس على ظاهره لأنه لا يخفى عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف
المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد
أطاع الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وإما أن صورة صنيعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر
وصنيع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجاً
لهم وامتثال الرسول والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقولوا أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه
إلا أنه أخرج في زنة فاعلت للمبالغة فإن الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة
معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم
ما يطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين
فيطّلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذيهم إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد **وما يخادعون**
إلا أنفسهم يخادعون قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو والمعنى أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها
يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غرّوها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدّثتهم بالأماني الفارغة
وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لأن المخادعة لا تتصوّر إلا بين اثنين
وقرئ ويخدّعون من خدّع ويُخدَعون بمعنى يختدعون ويُخدَعون ويُخادَعون على البناء للمفعول ونصب
أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لأن نفس الحيّ به وللقلب لأنه محل الروح
أو متعلّقه وللدم لأن قوامها به وللماء لفرط حاجتها إليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث
عنها أو يشبه ذاتاً تأمره وتشير عليه والمراد بالأنفس هاهنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم
وما يشعرون لا يحسّون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في
الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس والشعور الإحساس ومشاعر الإنسان حواسه
وأصله الشعر ومنه الشعار **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً** المرض حقيقة فيما يعرض
للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الأعراض النفسانية
التي تخلّ بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لأنها مانعة من نيل الفضائل أو مؤدية
إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية والآية تحتملهما فإن قلوبهم كانت متألمة تحرّقاً على ما فاتهم من الرياسة وحسداً

على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم
مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف
النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها
سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف
الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد **ولهم عذاب اليم**
اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده
بما كانوا يكذبون قرأه عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ
الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي هو
للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان
المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب
عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به **واذا قيل**
لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه
الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية
متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل
ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بافشاء
الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة
بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى
او الرسول او بعض المؤمنين **قالوا انما نحن مصلحون** جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد
لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد
بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا **الا انهم هم**
المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره
بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي
افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها
اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون
من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون **واذا قيل لهم آمنوا** من تمام النصح والارشاد فان كمال

الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب
بقوله آمنوا **كما آمن الناس** في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس
والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع
المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي
ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل
جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به
على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد **قالوا انؤمن كما آمن**
السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو
الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما
فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر
الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما
يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا**
آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم
فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه
وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت
واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته
بحيث يلقى **واذا خلوا الى شياطينهم** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك
ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء
والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة
في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد
فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل
قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة
الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا
عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان

على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما نحن مستهزؤن**
تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر
او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا
بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء
وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم**
يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له
في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء
والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال
والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به
ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في
مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد
حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج
والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير
ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة
تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله
تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق
ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي واصله يمد لهم بمعنى يملي لهم
ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما ازدادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله
تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم
والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا
لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار
بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اختاروها
عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين

من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر
وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني
او الاعيان ومنه اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما
اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى
الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى **فما ربحت تجارتهم** ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع
والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما كانوا مهتدين** لطرق التجارة
فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة
السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس
مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل **مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب
واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء
والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه
بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شأن
وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من
استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز
ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى
وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع
وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي
عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر
على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب
الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر
لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا
امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة

نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم**
جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها
او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على
سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس
واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر
او للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان
بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه
لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا
ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي
هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك
في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم
في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب
السرمد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن اتاه
ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى
ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين
خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما امن ومن صح
له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من
حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة
للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها
صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات
بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء
عندهم اذنوا وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاطلاقها عليهم على طريقة التمثيل
لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم

كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم
المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية
فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم
اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه
ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من
شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فهم لا يرجعون** لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه
او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون او يتاخرون والى حيث ابتدؤوا منه كيف
يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **او كصيب من
السماء** عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في
الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او
كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب معناه ان قصة المنافقين
مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل
من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه
اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بافاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء
كما ان كل طبقة منها سماء وقال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب
فاللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات ورعد وبرق** ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه
بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به
السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت
يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق
ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا **يجعلون اصابعهم
في آذانهم** الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول
عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير
لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها
وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون
كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد

صعقته بدر

يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط بالكافرين** لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها **يكاد البرق يخطف ابصارهم** استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان يؤكد بالقرب على الحال وقد يدخل عليه حملا لها على عسى كما يحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بالسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف **كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا** استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** اي لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله **ان الله على كل شيء قدير** كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود

لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور لله تعالى والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات

المشكل بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق و
تصامّهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها ولا خلاص له
منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم بما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه
ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم
مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه جعل لهم السمع والابصار
ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة
لو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لانفسهم فانه على ما يشاء قدير **يا ايها الناس اعبدوا ربكم**
لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على
سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة
بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته
كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له
وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة
الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين
واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود
واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه
الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام
من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ
والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم
كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت
النزول لفظا ومن سيوجد بما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل
للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان
كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب
تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة
والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب
تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا
به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه

والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم
تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة
جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد
بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير
واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها **والذين من
قبلكم** متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب
معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم
اما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ
من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم
جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه
لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال
اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجا كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون
رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي
اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل
تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال
بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه
شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل
الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه

تصامّهم
ضوء
اذا اظلم
يجعلونها
هزا للسامع اي تحريكا
الحث
اقحمت
يتفطنوا
الاتيان بما يجب
التربية
بالمقياس
المقرّر عندهم
العامة

بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها
قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصيير
يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها
بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة
حتى صارت مهيأة لان يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك
لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش
عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا
تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء فاخرج**
به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار
بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها
ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها
وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة و
في الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على
ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد
ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها
دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء
او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على
ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة
من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية
للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له
اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج

كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق
كقولنا انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع
الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه
ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله
كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت
عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به المصدر
كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على
انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب بان جوابا له او بلعل على ان نصب
تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها
بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له ندا
او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية
ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات
العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم
لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات
كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا
وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها مخالفة في افعاله لانهم لما تركوا عبادته
الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات
قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم
بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن
نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى
جميعا كذلك الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي
فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد
بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله و
لا تقدر على ما يفعل كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى
هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه

فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة** لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب

يرتقي فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية او القطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد **فأتوا بسورة من مثله** صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين و زائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله **وادعوا شهداءكم من دون الله** فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام فكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم

شاهدة

بواسطة

وحدانية الله تعالى

بذت غلبت

المصاقع جمع مصقع وهو البليغ

الكتم

ولا تستشهدوا

يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى
من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت
والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا
لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله
ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار
المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك
لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار
عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز
الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان
بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب
فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على
الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القايل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم
معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم
وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت
كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن
نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي
اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء
المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله
مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد
به المصدر فعلى حذف المضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل
وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها
والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم
وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع
من العذاب للكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال المقصود اذ الغرض

قوله فلم لا يجوز ان يكون جوابه فاتوا بسورة المذكورة قبله لانه يلزم ان يكون الجزاء مقدما على الشرط

تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان
صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لساير النيران ولما كانت
الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه
صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او
حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر
وفي الاية دليل النبوة من وجوه الاول ما فيها من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في
المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور
القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم في الفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته
والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انها تتضمن الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه
بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث
انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته
وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب
بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب
ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي
ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي
ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة
بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا
ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة
الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو
قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني
عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه
وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما

اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه
ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه
وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله
لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر
المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي
مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظلة
ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن
عباس سبع جنة الفردوس وجنة العدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار
السلام وعليون وفي كل واحدة منها درجات ومراتب متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
العمال واللام يدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا
يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده
لا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله تعالى لم يقيد
ههنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار
النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما
في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء
غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات
والتركيب للسعة والمراد بها ماءها على الاضمار او المجاز او للمجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما
في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي
رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات
وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف
ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل
حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنات مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا من الجنات
فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون
من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى

جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر
بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة
من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة
عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك
او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها
ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف
او لما روي انه صلعم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة
لياكلها فما هي واصلة فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا
ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا
والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة و
التشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول
راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الفقير والغني وعلى الثاني الى الرزق
فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال
ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصفة التي
هي مناط الاسم واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية
محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه
ومن تشابهها تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى
ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء
ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في
الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت
نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء
وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج

الخلف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ
النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها
الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها
في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها **وهم فيها خالدون**
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد
وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد
في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد ولكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل
الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل
خلودها في الجنان قلنا انه تعالى يعيدها بحيث لا تعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متفاوتة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد
في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة
واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة
غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها
وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من
التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له
من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل
انما يصار اليه لكشف معنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس
ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة
من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية
وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم
وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية
بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش
من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال

المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت
وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر
الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل
ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما
طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان
يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة
التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل
مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل
حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت حشاه ونساه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء
في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد
من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين للمعنى الموضوع لهما ونظيره
قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما
عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة
لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء على آخر
وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد
حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك
اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد
اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان
تذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف
بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى
الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا تحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة
حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها
النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال
قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك
ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران فالبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فما فوقها** عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه

ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فانه عليه [السلام] ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر
على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلعم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد
عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه [السلام] ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى
نخبة النملة **فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم** اما حرف يفصل ما اجمل
ويوكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب
معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا عن الشرط لفظا
وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم
[والضمير في] انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة
والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **واما
الذين كفروا فيقولون** كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون
ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على ... وذا بمعنى الذي وما بعده
صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية
مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الكلام الجواب
السوال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع
والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري عز وجل به ولذلك
اختلف في معنى ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته
وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه
ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من
الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم آية **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء
كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما
وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال و
فسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة

الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث
العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين**
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها
اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق
في الشرع الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى
التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها
غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع
ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا
يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طايفتان
من المومنين والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر
تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المومن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم
للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت
وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه
واستهزءوا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون
عهد الله** صفة للفاسقين وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات
الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد
المتعاهدين بالآخر وان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا
الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته
والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث
انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة
على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم
على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه
واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ونظايره وقيل عهود الله تعالى ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد

اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهدا اخذه على العلماء بان يبينوا الحق
ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام
والمراد به ما وثق الله به عهده من الايات والكتب او ما وثقوا به من الالتزام والقبول
ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق **ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة
المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة
وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات
من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء
وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان
وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب و
الخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض**
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة
الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس
من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف تكفرون
بالله** استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني
لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم
ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال
والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على
طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني
على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا
ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم** بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء
لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند تقضي اجالكم **ثم يحييكم**
بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر فيجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل
ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم
من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على

ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق
ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة
ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة و
استقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية
المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة
الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة
مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا
كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي
جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية
ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة
في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من
طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعلم والعقل والايمان من حيث انها كمالها و
غايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا
وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى
قايما بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران **هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء
قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم
وانتفاعكم به في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وفي دينكم بالاستدلال
والاعتبار والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل
به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع
اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم
كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول
الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل
اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على
الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى

مهاف

استولى وملك قال قد استوى على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل
والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات
العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين
آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض
المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض
فعلا آخر دل عليه أانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر
فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام
لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او
تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فما ذكروه مشكوك
ان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي فلم يبق خلاف وهو بكل
شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط
الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان
عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم
وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعدما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما
يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل من البدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن
معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث
مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة
واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع
والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية
والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائها
وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم فانه خلق ما خلق خلقا مستويا
محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال
حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع برواية قالون وابو عمرو والكسائي الهاء
من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود
انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة
يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا

للتعليل والمجازاة ومحلها النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما
قوله واذكروا اذ انتم قليل ونحوه فعلى تاويل اذكروا الحادث اذ كان كذا فاقيم الظرف مقامه وعامله في
الآية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه
مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم
الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مألك
من الألوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين
الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها
جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في
معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به
القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم
سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ
وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم
في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر
والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء
فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة
الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور
المستخلف عليهم عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى
في الميقات ومحمدا صلوات الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز
عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما
لياخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم
او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة

مع وروده جمعا مثل خلائف وخلفاء

يخلفكم يخلفكم

في قوله مُضَر ولا نُعَمْنِر او علا قا ويل من يخلف او خلقا يخلف وفايدة قوله تع هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفه قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسوالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك **قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسوال المتعلم عن معلمه لما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تع ولا طعن في بني ادم بوجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تع بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلقٍ من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يُسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى انستخلف عصاةً ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملايكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر فكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تودّيان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكاينات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تع اجمالا بقوله **قال اني اعلم ما لا تعلمون** والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وبعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا من معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند

[هامش: والمعصوم]

[هامش: غرضوا]

قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة **وعلم آدم الاسماء كلها** اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة او اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تع قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تع خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا لان السوال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منها **ان كنتم صادقين** في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات **قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سوالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه و

[هامش: ... الوام وحجر]

سبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما
للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن
الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك
وقال يونس عم سبحانك اني كنت من الظالمين **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** المحكم
لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت
وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز
يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا آدم انبئهم باسمائهم** اي اعلمهم
وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما **فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**
استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليهم فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم
من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض
بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها
من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة
واسر ابليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم
ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة
فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان
اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم
مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة
وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**
لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما
قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه
بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم
والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى

فاسجد يعني البعير اذا طأطأ راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به
اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه
او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها
ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه
من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول
حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة
لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف
له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين
بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر**
امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او
يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه
اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** اي في علم الله او
صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن
ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل
على ان آدم عليه السلام افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من
الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن
لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضه روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين
اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة
لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به
علم ايضا ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد
المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة
كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا تخالف الشياطين
بالذات وانما تخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما
وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضه فلذلك صح عليه التغير من حاله و

الهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تع الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح
ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رض الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة
من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء
والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة
والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى
جذعة ولا يزال يتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب دفعة مرتين
واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي
بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي
علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم
الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري رحمه الله **وقلنا يا ادم اسكن انت**
وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن
ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له
والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه
بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تع امتحانا لادم عليه السلام وحمل الاهباط
على الانتقال الى ارض الهند كما في قوله تع اهبطوا مصرا **وكلا منها رغدا** واسعا رافها
مصدر محذوف **حيث شئتما** اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر
في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة**
فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول
مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه تنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية
وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي
ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من
الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد
السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة
او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا يعين من غير قاطع كما لم يعين في الاية لعدم توقف ما
المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها**
اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تع وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما الشيطان وهما متقاربان في

غير ان ذلك يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد و
ملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين و
مقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما او القاه
اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم
فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة
ابتلاء لادم صلوات الله عليه وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة
دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه
فازلهما والعلم عند الله **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم
وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها
للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها
عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله **ولكم في الارض**
مستقر موضع استقرار او استقرار **ومتاع الى حين** يريد به وقت الموت
او القيامة **فتلقى ادم من ربه كلمات** استقبلها بالاخذ والقبول و
العمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته
وهي قوله تع ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رض قال
يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق
رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم و
هو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة **فتاب عليه**
رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة
وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان
حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنن **انه هو**
التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تع
اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين
الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرر

بدلك م

منع م

باديه م

٧ قال لي



للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها
يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى للهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه
على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة
الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان
يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في
اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان
واحد كقولك جاؤا جميعا **فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون** الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك
حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال
فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه
العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه
ولا هم يحزنون على فوات محبوب والخوف على المتوقع والحزن على الواقع عليه نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب
على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على من تبع الى آخره قسيم له
كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات
من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين اياها من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت
عينها على غير قياس او اوية او ائية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد
باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين من وجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له
عاص الثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين الثالث
انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى الرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع
عن الذنب والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى اياه لقوله وان لم تغفر لنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة السادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه
الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه

ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له فاما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب
عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له
على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما
ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الانبياء لعظم قدرهم كما
قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على
طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى
ما نهاكما وقاسمهما الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله
اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع
فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه
او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع
كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى
عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها
في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم
وان الكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى
لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها
من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان
الاخبار على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز
يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر
على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى
عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلعم وما انزل
عليه فقال **يا بني اسرائيل** اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب
المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائيل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان
الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله تعالى على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران
والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا
واسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي**

عن الامة لم يحط

بالتفكر

ليجتنبها

وحده
لا شريك له

وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام

عليه السلام

والخاسر من

بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق
في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله الفوز باللقاء الدايم
روي عن ابن عباس رضه اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه اوف بعهدكم في رفع الاصار
والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او
بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط
وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام
الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله ولقد اخذ
ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي
فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام
كانه قيل ان كنتم راهبين شيا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والاية متضمنة للوعد
والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله
وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود
للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت
فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس
والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار
من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو
في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على
ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به
بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين
والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او
لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم
قد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر
اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان

مضاف ح
والمال ح

فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل
من وأل فابدلت همزتها واوا تخفيفا غير قياسي او اوول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ
الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان
قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلعم فاختاروها
عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان
واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي
لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بالاولى لما عم
العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم
بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط
وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره ولا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
وتكتمونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتمونه في
خلاله او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا
بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم
او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضه وتكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون اذ الجاهل
قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان صلوة
غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على
الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال
ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من
البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ
بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا
عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر
تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول
كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة
الاجانب

عليها ح
والخطاب ح
الجني ح
اي وانتم تكتمون ح
فانه اقبح ح

وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل
كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم
تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته
والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم
القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء
صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بين
... يانه عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم
منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم
من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم
النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة
وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية
والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة
والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب
روي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة
الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا
نهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد
ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون
الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رض يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان
اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر
مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثمه قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل

اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم عطف على نعمتي على العالمين
يعني عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا
بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر
على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا
لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه
اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي و
الجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور
قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية
او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون
قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما
باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع
له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما
دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى
العباد او الاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية
على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة
في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم
واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
عطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى و
قيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن
ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة
يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء
سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه
على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان
فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم

بيانه ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وإنما فعلوا بهم ذلك لأن فرعون رأى في
المنام أو قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئاً **وفي
ذلكم بلاء** محنة إن أشير بذلكم إلى صنيعهم ونعمة إن أشير إلى الإنجاء وأصله الاختبار ولكن لما كان
اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة أطلق عليهما ويجوز أن يشار بذلكم إلى الجملة ويراد به
الامتحان الشائع بينهما **من ربكم** بتسليطهم عليكم أو ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم
أو بهما **عظيم** صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله تعالى
فعليه أن يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين **وإذ فرقنا بكم البحر**
فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه أو بسبب إنجائكم أو
ملتبساً بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لأن المسالك كانت اثنا عشر
فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون أراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم
بأنه أولى به وقيل شخصه كما روي أن الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد أي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر أتباعه **وأنتم تنظرون** ذلك أو غرقهم وإطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر
عن طرق يابسة مذللة أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضكم بعضاً روي أنه تعالى
أمر موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على
شاطئ البحر فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقاً يابساً فسلكوها فقالوا
يا موسى نخاف أن يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم
لما وصل إليه فرعون ورآه منفلقاً اقتحمه هو وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين واعلم أن
هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني إسرائيل ومن الآيات الملجئة إلى العلم بوجود الصانع
الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم إنهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك
فهم بمعزل من الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد عليه السلام مع أن ما تواتر
من معجزاته أمور نظرية مثل القرآن والتحدي به دقيقة يدركها الأذكياء وإخباره عليه السلام عنها من
جملة معجزاته على ما مر تقريره **وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة** لما عادوا إلى مصر
بعد هلاك فرعون وعد الله موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي
الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
واعدنا لأنه وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات إلى الطور **ثم اتخذتم العجل** إلهاً أو
معبوداً **من بعده** من بعد موسى عليه السلام أو مضيه **وأنتم ظالمون** بإشراككم **ثم عفونا عنكم**
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا إذا درس **من بعد ذلك** أي الاتخاذ **لعلكم تشكرون**

لكي تشكروا عفوه **وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** يعني التوراة الجامع
بين كونه كتاباً وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق و
المبطل في الدعوى أو بين الكفر والإيمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر
الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا
بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات **وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم
ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم** فاعزموا على التوبة
والرجوع إلى من خلقكم بريئاً من التفاوت ومميزاً بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل
التركيب لخلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه أو
الإنشاء كقوله برأ الله آدم من الطين أو فتوبوا **فاقتلوا أنفسكم** تماماً لتوبتكم بالبخع أو قطع
الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل أمروا أن يقتل بعضهم
بعضاً وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة روي أن الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر
المضي لأمر الله تعالى فأرسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فأخذوا يقتلون من الغداة
إلى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
ألفاً والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم**
من حيث إنه طهرة من الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية
فتاب عليكم متعلق بمحذوف إن جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره إن فعلتم
ما أمرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف إن جعلته خطاباً من الله تعالى لهم على طريقة
الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم فذكر البارئ وترتيب الأمر عليه
إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر
التي هي مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن تسترد منه ولذلك أمروا بالقتل
وفك التركيب **إنه هو التواب الرحيم** الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من
المذنبين ويبالغ في الإنعام عليهم **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** لأجل قولك
أو لن نقر لك **حتى نرى الله جهرة** عياناً وهي في الأصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنها نوع من الرؤية أو حال من الفاعل أو المفعول
وقرئ جهرة بالفتح على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فيكون حالاً والقائلون هم السبعون
الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي
أعطاك التوراة وكلمك أو أنك نبي **فأخذتكم الصاعقة** لفرط العناد والتعنت

وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات
والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين
في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون**
ما اصابكم بنفسه او اثره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بسبب الصاعقة وقيد
البعث لانه قد يكون عن اغماء ونوم لقوله تعالى ثم بعثناهم **لعلكم تشكرون**
نعمة البعث او كفرتموه لما رأيتم بأس الله تعالى بالصاعقة **وظللنا عليكم الغمام** سخر الله
لهم السحاب يظللهم من الشمس حين كانوا في التيه **وانزلنا عليكم المن والسلوى**
الترنجبين قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني
وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كلوا من طيبات ما**
رزقناكم على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم
وما ظلمونا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره **واذ قلنا**
ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه **فكلوا منها حيث**
شئتم رغدا واسعا نصبه على المصدر او الحال من الواو **وادخلوا الباب** اي باب
القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام
سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة**
اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا
حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي نحط في هذه القرية
ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم** بسجودكم ودعائكم قرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول
وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت
همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل
قدمت الهمزة ثم فعل بهما ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب
زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان
لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**
بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا **فانزلنا على الذين**
ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه
او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها **رجزا من السماء بما كانوا يفسقون**

عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم
وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى**
موسى لقومه لما عطشوا في التيه **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** اللام فيه للعهد
على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في
جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع
الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من
الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل
فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع
الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة
اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت منه اثنتا عشرة**
عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم
وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه **قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون منها
كلوا واشربوا على تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم من المن والسلوى
وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به **ولا تعثوا في الارض**
مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد لانه قد يكون منه ما ليس
بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرق السفينة
ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله تعالى
وقلة تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد
لم يمتنع ان يخلق الله تعالى حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء
بقوة التبريد ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** يريد
به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انها لا تختلف ولا يتبدل كقولهم ابو الاحمر واحد
يريدون انها لا يتغير الوانه ولذلك اجحوا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة
فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا ربك** سله بدعائك ايانا **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد
وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي و
اقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها**
وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه

قال اي الله او موسى عليه السلام أتستبدلون الذي هو أدنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل
الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة
وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم
الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه
وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او
على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود رض وقيل اصله مصرائيم فان لكم ما سألتم
وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من
ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على
التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به فصاروا احقاء بغضبه من
باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر
واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن
وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه السلام من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم
عليهم السلام بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى
وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان و
التمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى ارتكاب
كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما
لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة
الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر
او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق
والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعهما وتأنيثهما ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي
بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين
لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية
ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكأنهم
سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة
كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا

او جاروا

شعيبا

باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين
نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده
بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم او من الحق
الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا
بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام
دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب
ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن
المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد
بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا
ميثاقكم باتباع موسى عليه السلام والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور
حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل عليه السلام بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه
فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين
ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم
ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلعم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من
الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل
لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم
الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده
وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع
امروا بان يجردوه (يقطعوه) للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك
انهم يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر
هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين

وقيل هم عبدة الملائكة

الميثاق

جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم
ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا
ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد
وقرئ قَرِدَة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة
نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها
لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين
او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حوالها
او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق
سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة
قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من
مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته
كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون
بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا
مكان هزء او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ
حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به
على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس
غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته
ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة
والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض
والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء
تلك الصفات على بقرة تدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن
انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه
النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي
الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم

فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى
مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع
كما يقال اسود حالك واسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد
كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه
فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه
نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله
لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان
البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة
البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير
والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه و
متشابهة ومتشبه وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي
الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى
وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة
واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض
ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة البقرة بمعنى غير ذلول
ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة
سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها
لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر
قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام
والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها الى اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة
المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني

استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجى الى الفعل **واذ قتلتم نفسا** خطاب الجمع لوقوع القتل فيهم **فادارأتم فيها** اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج ما كنتم تكتمون** مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية **فقلنا اضربوه** عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل **ببعضها** اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب **كذلك يحيي الله الموتى** يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية **ويريكم آياته** دلائله على كمال قدرته **لعلكم تعقلون** لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رض انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فتحيى حيوة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع **ثم قست قلوبكم** القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة **من بعد ذلك** يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب **فهي كالحجارة** في قسوتها **او اشد قسوة** منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار**

مسكها

العجب
اصل الذنب

رايقة
حسنة

اشتراك ؟

عرف

وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هولاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من المثقلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء **افتطمعون** الخطاب لرسول الله والمؤمنين **ان يؤمنوا لكم** ان يحدثوا التصديق لكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود **وقد كان فريق منهم** طائفة من اسلافهم **يسمعون كلام الله** يعني التورية **ثم يحرفونه** كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هولاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا **من بعد ما عقلوه** اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة **وهم يعلمون** انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هولاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك **واذا لقوا الذين آمنوا** يعني منافقيهم **قالوا آمنا** بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية **واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا** اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق **اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها **افلا تعقلون** اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم **اولا يعلمون** يعني هولاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين **ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب** جهلة لا يحسنون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية **الا اماني** استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب

بقره

وعامة تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة فيه وادّكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه
سمعوها من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها منكذبا لمن ينصحه
يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور فيها كما قال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته على
عادِ سَرِ وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون القلب ولا ادغام فيها فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم يلازمون
ولا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به كاسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى
المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسّر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده
وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه و
اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله ولا
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو
فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره
ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا
النار المس ايصال الشيء بالبشرة بحيث يتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال فيلوه بلا عن الميثاق او معمول لمحذوف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلّفناهم
الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بالنار الا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما يعذب بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا
مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابو ذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى
كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه
مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال حسنا للمبالغة وقرأ حُسُنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحَسَنا وحسنى على المصدر كبشرى و
ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على المراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع ثبات مالئهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول
من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم الله صلعم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به
ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض
بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم
بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض
جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلوا عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه
لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسر يوجب قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم
السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم
الفتر بر

منهم ح
وقرى خطيئاته وخطيئته
اولوا

فان الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد
الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي
فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار
ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة
وقيل بمعنى الذين والجملة صلة والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون
من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون
بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير
كانوا حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها
واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين
تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقرأ حمزة اسرى جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وقيل هو ايضا جمع اسير
وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير
للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل
بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة
المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل
عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم
في رواية المفضل يردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على
ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة آثروا الحيوة الدنيا
على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة
ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة
وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترا

يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى بن مريم البينات
المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير
من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه وزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه
قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود
ورجل صدق اراد به جبرئيل عليه السلام وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته عن
مس الشياطين او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والا
رحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس
بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي
بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء
وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا
والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى و
عيسى عليهما السلام والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام وانما ذكر
بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة
للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به
ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى
انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيرها بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن
الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقول لخلل فيه بل لان الله خذلهم
بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء
فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم
ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن
مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما
محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت
في التوراة او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه

الزير الرجل الذي يحب محادثة النساء

والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه **فلما جاءهم ما عرفوا**
كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة **فلعنة الله على الكافرين** اي
واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس
ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم **بئسما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى
مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم
ظنوا انهم اخلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا **ان يكفروا بما انزل الله** هو المخصوص
بالذم **بغيا** طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل **ان**
لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله تعالى **من فضله** يعني الوحي **على من يشاء من**
على من اختاره للرسالة **فباءوا بغضب على غضب** للكفر والحسد على من هو
وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليه او بعد قولهم عزير ابن الله **وللكافرين عذاب**
يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه **واذا قيل لهم آمنوا بما انزل**
يعم الكتب المنزلة باسرها **قالوا نؤمن بما انزل علينا** اي بالتورية **ويكفرون**
وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل
ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول ويراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد
وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن **مصدقا لما معهم** حال مؤكدة تتضمن رد
فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها **قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل**
كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه
انما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه **ولقد جاءكم موسى**
بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
ثم اتخذتم العجل الها **من بعده** من بعد مجيء موسى عليه او ذهابه الى الطور **وانتم ظالمون**
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله تعالى او اعتراض بمعنى وانتم قوم
الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع
طريقة اسلافهم مع موسى عليه لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها **واذ اخذنا ميثاقكم ور**
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية
واسمعوا سماع طاعة **قالوا سمعنا** قولك **وعصينا** امرك **واشربوا في قلو**
تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله عز وجل انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم

٣٩ ب

بسبب كفرهم وذلك انهم كانوا مجسمة وحلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم
السامري **قل بئسما يأمركم به ايمانكم** اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما عليهم **ان كنتم مؤمنين** تقرير
للقدح في دعواهم الايمان بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر بها
فاذا لستم بمؤمنين **قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة** خاصة بكم كما قلتم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار **من دون الناس** سائرهم او
المسلمين واللام للعهد **فتمنوا الموت ان كنتم صادقين** لان من ايقن انه من اهل
الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضه لا ابالي سقطت على
الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة
حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة لهم لا يشاركه فيها غيره
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه والقرآن وتحريف
التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه
عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا
لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا
تمنينا وعن النبي عليه لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه
الارض **والله عليم بالظالمين** تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه
عمن هو لهم **ولتجدنهم احرص الناس على حيوة** من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه
هم واحرص وتنكير حيوة لانه اراد بها فردا من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام **ومن**
الذين اشركوا محمول على المعنى فكأنه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم
بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع
فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى
النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ
محذوف صفته **يود احدهم** على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي و
منهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف **لو يعمر الف سنة**
حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم
بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل

سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها
والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم **قل من كان عدوا لجبريل**
نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلعم عمن نزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا
مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه
فدفع عنه جبريل عليه وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه
دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب مدراس
كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من
الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام
لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات وقرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة
حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية
جبريل كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرال وجبرين ومنع
صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله **فانه نزله** البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن
واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على
فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام
كانه قال قل ما تكلمت به **باذن الله** بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل **مصدقا لما بين**
وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله
من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله
بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه
عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال
قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله
عدو للكافرين اراد بعداوة الله تعالى مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر
بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما
جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى
وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد وان المحاجة كانت
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر
نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل ولقد

انزلنا

اليك آيات بينات **وما يكفر بها الا الفاسقون** اي المتمردون من الكفرة والفسق
اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله
صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك **اوكلما عاهدوا عهدا** الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو
وعلى ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا **نبذه فريق منهم**
نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض **بل**
اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم المقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون
به خفاء **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم** كعيسى ومحمد عليهما السلام
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول
المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل
ما مع الرسول كالقرآن **وراء ظهورهم** مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر
لعدم الالتفات اليه **كانهم لا يعلمون** انه كتاب الله تعالى يعني ان علمهم به رصين ولكن
يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة
وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون و
فرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم
وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها
خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على**
عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله تعالى واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من
الجن او الانس او منهما **على ملك سليمان** اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون
السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا
ذلك في عهد سليمان صلوات الله عليه حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه تسخر به الانس والجن والريح له **وما كفر سليمان** تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر
ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه **ولكن الشياطين كفروا** باستعماله
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان
في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في
الشر وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي و
الولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريكه صاحب خفة اليد

نفع مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل
على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او المراد به نوع اقوى منه
او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى
انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت
الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر
وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على وما كفر
تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من
سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من
الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به
وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني
ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد
وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى
العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه
اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر
ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم يحتمل المعنيين لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي
بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل
بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب
الله تعالى واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله
خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم
بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من

الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا
ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان
المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا
فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا
من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير و
راعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب
واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا سماع اليهود
او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا
بالرسول عليه السلام وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع
من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك
يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل
عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير
بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به
ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء و
ليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض
عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال
المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة
ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما
كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها
او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر
ما ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسأ
وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وتنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين
نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو
بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ
وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها

الانزال

بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله
ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره
واحتج به من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا
والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان
التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات
الم تعلم الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم
ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله
على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة
والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون
بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى صلوات الله عليه او منقطعة والمراد ان توصيهم بالثقة به وترك الاقتراح
عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا
لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل
ومن ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في
الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد
وتبديل الكفر بالايمان وقرئ من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم
ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال
من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم
وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسد اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما
تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة
المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او
بني قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضه انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله عز وجل بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم
من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون

بصير لا يضيع عنده عمل عامل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين
كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد
الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهو ان لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف
اي امثال تلك الامنية امانيهم والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول
الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله
فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها
ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه
ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
اي على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا
وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من
اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام و
المعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ
ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع
ان ما لم ينسخ منها حق واجب القبول والعمل به والله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم
النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان
موسوم للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين
لما منعوا رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع
وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترءوا على تخريبها او ما
كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او كان لهم في
علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده
وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة رحمه الله

امانيهم والجملة
اعتراضية
والامنية

لا يضيع الا بعض

خبر الاول
تفسير

يبدلـ

ما

ومنع مالك رحمه الله وفرق الشافعي رض بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي
او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق
والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا
في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية
شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم
ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشيا او برحمته يريد التوسعة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رض انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل
في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحا مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد
ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة
وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو
العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر
بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية
مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او
طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق
ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا
يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفات لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد
لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم
تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج
بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع
السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته
وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته
عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشيا كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا و
الابداع اختراع الشي لا عن شي دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر
والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على
المدح واذا قضى امرا اي اراد شيا واصل القضا اتمام الشي قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن
سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشي من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون

ثلثة اوجه آخرها الحكم المفهوم من قوله بل له ما في السموات والارض وثانيها قوله سبحانه وثالثها قوله قانتون

من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به الارادة
بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ
الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب
الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو
الرب الاصغر والله تعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك
تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة
المشركين او المتجاهلين من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك
رسوله او تاتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتاهم آيات الله استهانة به
وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى
والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او
يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او
لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا
ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان
بلغت وقرا نافع ويعقوب ولا تسال على انه نهي للرسول عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة
الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم
المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول
عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك
فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي
هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم
آراءهم الزائفة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته و
الهوى راي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك
من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب
يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في
معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل
الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما
يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا

نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة و
اهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواهي والابتلاء في الاصل التكليف بالامر
الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم
وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك
فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين و
قوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر
التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله
بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الايات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات
مثل ارني كيف تحي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام فاتمهن
فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذي وفى وفي الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه
جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا
قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة و
تطهير البيت ورفع قواعده والاسلام اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال
ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب ساكرمك والذرية
نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة
او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي
الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها
امانة من الله تعالى وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من
الكباير قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته
واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان
الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا
وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث
ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر

تضمنته م

وان نصبته بمقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به والامامة عامة مؤبدة م

تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلعم وهو امر استحباب ومقام ابراهيم
الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعى الناس الى الحج او رفع
بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضه فقال هذا مقام ابراهيم عليه السلام
فقال افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ و
اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رحمه الله في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله و
قيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا
بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها
وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز
ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه
للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع و
ساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله
في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله
واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى
وارزق من كفر قاس ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة فنبهه سبحانه ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن
والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر
وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب و
لذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته
به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي
قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة
من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها
دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود
بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ورفعها
بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها
تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين

أو على التناوب ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما إنك أنت السميع العليم لدعائنا
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم إذا
استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات عليه وقرئ مسلمين على أن
المراد أنفسهما وهاجر أو أن التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أي واجعل
بعض ذريتنا وإنما خصا الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع
وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة وعلما أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص
والإقبال الكلي على الله تعالى فإنه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أراد
بالأمة أمة محمد صلعم ويجوز أن يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين و
فصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن وأرنا من
رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج أو مذابحنا
والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير
ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها
وتب علينا استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لأنفسهما وإرشادا لذريتهما
إنك أنت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الأمة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من
ذريتهما غير محمد صلعم فهو المجاب به دعوتهما كما قال أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي
يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم
الكتاب القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف ويزكيهم عن الشرك والمعاصي إنك
أنت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة إبراهيم
استبعاد وإنكار لأن يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أي لا يرغب أحد عن ملته إلا من
سفه نفسه إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم
لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه
على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش
أجب الظهر ليس له سنام أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع
على المختار بدلا من الضمير في يرغب لأنه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه
في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فإن من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له
بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفه
أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين

إذ قال
ظرف لاصطفيناه أو تعليل له أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم
أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر
حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام روي أنها نزلت لما دعا
عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبى مهاجر ووصى بها إبراهيم بنيه
التوصية هو التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه إذا وصله كأن الموصي
يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة وقرأ نافع و
ابن عامر أوصى والأول أبلغ ويعقوب عطف على إبراهيم أي وصى هو أيضا بها بنيه وقرئ بالنصب
على أنه ممن وصاه إبراهيم يا بني على إضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لأنه نوع
منه ونظيره رجلان من ضبة أخبرانا إنا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو إبراهيم كانوا أربعة إسمعيل
وإسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين و
شمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخر وزبولون ودونه ونفتوني وكودا وأوشير وبنيامين
ويوسف إن الله اصطفى لكم الدين دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله فلا تموتن
إلا وأنتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصود هو النهي عن أن يكونوا
على خلاف تلك الحال إذا ماتوا والأمر بالثبات على الإسلام كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على
الإسلام موت لا خير فيه وأن من حقه أن لا يحل بهم ونظيره في الأمر مت وأنت شهيد روي أن
اليهود قالوا لرسول الله صلعم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت
أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ما كنتم
حاضرين إذ حضر يعقوب الموت قال لبنيه ما قال ذلك وإنما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر
إذ قال لبنيه بدل من إذ حضر ما تعبدون من بعدي أي شيء تعبدونه أراد به تقريرهم
على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف
خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب قالوا نعبد
إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب
عبادته وعد إسمعيل من آبائه تغليبا للأب والجد أو لأنه كالأب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه
كما قال في العباس هذا بقية آبائي وقرئ إله أبيك على أنه جمع بالواو والنون كما قال وسلمن
أصواتنا بكين وفديننا بالأبينا أو مفرد وإبراهيم وحده عطف بيان إلها واحدا
بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم
الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص

ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا
تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها
الجماعة لان الفرق تأمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم
اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني
الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب
لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا
وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب للامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون
ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن
ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم
فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا
بمثل ما امنتم به وما انزل الينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا سبب
للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين
تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
يريد به حفدة يعقوب او ابناؤه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى
وعيسى التورية والانجيل افردهما بالحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق
والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم
منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد
لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له مسلمون
مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز
والتبكيت كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام و
قيل الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة
المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا
مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له
قراءة بما امنتم به او بالذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا

عن الايمان او عما تقولون لهم فانما هم في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد
من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد
لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد
بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى
انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته
وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ
او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه
ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او
للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير
لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على
البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن
له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك
يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان
يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا لئلا يلزم
فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شأنه واصطفائه
نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا
فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء
من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كأنه الزمهم على
كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل
فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون
موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابرهيم و
اسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة
والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون
معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية
على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده

وهولآء المعطوفون عليه اتباعه في الدين و فاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية و البراءة عن اليهودية و النصرانية و المعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة و فيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم او استمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصار عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما يرتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة و الكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المسافة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق

على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلعم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ و المعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لتميز الثابت عن المتزلزل لقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عليه لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلعم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد

دينية وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام اصرف وجهك
نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة
عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع
من الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه
الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد
بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم
فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب
تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم لعلمهم بان عادته
تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل
او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة
للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وقد سد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة
تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم
قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه
وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم
لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم
على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا
لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب
يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلعم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه او للعلم
او للقرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه
كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد عليه السلام انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاندوا

مو لهم

واستعظاما

عليهم

الاول الاتيان باللام الموطئة للقسم الثاني القسم المضمر الثالث حرف التحقيق وهي ان الرابع تركيبه من جملة اسمية ...

٢٨
بقرة

واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام
للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه
من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس
المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه
بحيث لا يشك فيه ناظر وامر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة
ولكل امة قبلة والتنوين بدل الاضافة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة هو موليها
احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة و
المعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها
اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين
او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي في
اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا
في اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا
ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع
ومن حيث خرجت اي ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام
اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرا
ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم
الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة
وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن
المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة
فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا
والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة
وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا
منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة
الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه

حجة كقول جنتهم داحضة لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء
للمبالغة في نفي الحجة راسا كقول ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا
فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على
علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او ليلا يكون وفي الحديث تمام النعمة
دخول الجنة وعن علي رضه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل
بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم
بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار
القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون
بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ
النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله
مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم
ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك الا بالعقل بل بالوحي وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند ربهم تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على
ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها
دلالة على ان الارواح جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
من الله او مزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على
البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم
عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم
به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على
شيء او الخوف وعن الشافعي رضه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه اذا مات ولد العبد قال الله للملائكة ا

الاوجاع والامراض

قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي
فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر
الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
الخطاب للرسول او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه كل شيء
يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه
راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له و
المبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل
الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف
والاحسان وعن النبي عليه من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا
لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على
قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما
كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في
الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح
فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه
وعن ابي حنيفة رضه انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحهما ركن لقوله عليه اسعوا فان
الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه
من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف
او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة
لا يخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة
على امر محمد عليه والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس
لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان واصلحوا
ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة
الكفر عنهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم

بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة النعمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب احد من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه
وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه
فاعل كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة
او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى
الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه
لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون
تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات
والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف
الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه
على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين
على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض
بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر
وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون
بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي
على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع
يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب لان
بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم
وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله
ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه

ومن لم يتب

بلعنهم

تحيا

تاتي

بقرة

مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او
بعضها كالارض وان يتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين
وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد
لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة
غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم
اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي
لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا
يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم
يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في
المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها
ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه
واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين امنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم
لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن
الهتهم الى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا
ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة
واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا
ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب
لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا
اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو
ترى على انه خطاب للنبي اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول
ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او على اضمار
القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون
من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو
للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على
تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق

على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على
البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا
لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب
والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود
والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض
ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال
دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا
الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه
جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر
الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء
بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها
لرايهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف
الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء لاستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء
ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع
اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن
في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل
عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن
وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا فيعم
ما انزل الله التوراة لانها تدعو الى الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا
يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف تقديره
اولو كان اباؤهم جهلاء لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع

تحللوا

ايضا صح

التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين
في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا
كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهائم التي تنعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد
لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق
عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم
في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته
او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن
الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب
التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح
لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا
بحقوقها واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل
العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي عم يقول الله تعالى اني والانس
والجن في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري انما حرم عليكم الميتة وهي التي ماتت من غير
ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجها العرف عنها او استثنى الشرع
والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف
في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال
اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير
اذا رئي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار
على مضطر آخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة
وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر
مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة
فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا
اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا

وارزق ويشكر غيري صح

الكلها او الانتفاع بها

عوضا حقيرا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار إما في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار
لكونها عقوبة عليه وكأنه أكل النار كقوله أكلت دما إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر يعني الدية أو في المآل أي لا يأكلون يوم القيمة إلا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم
يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم
القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم من الكرامة والزلفى من الله ولا
يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب أليم مؤلم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والأغراض الدنيوية فما أصبرهم
على النار تعجيب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب أو استفهامية وما بعدها الخبر أو موصولة وما بعدها
صلة والخبر محذوف ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل
الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان وإن الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه إما للجنس
واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض أو للعهد والإشارة إما إلى التورية واختلفوا بمعنى
تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها أو خلفوا خلاف ما أنزل الله مكانه أي حرفوا ما فيها وإما إلى
القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين لفي شقاق بعيد
لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر
كل فعل مرضي والخطاب لأهل الكتاب فإنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة
أن البر هو التوجه إلى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ ولكن البر ما بينه
واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين أي ليس البر مقصورا بأمر القبلة أو ليس البر العظيم
الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من
آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين أي ولكن البر الذي ينبغي
أن يهتم به بر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والأول أوفق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس أو
القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه أي على حب المال كما
قال عليه السلام لما سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير
لله أو للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم
ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لأن إيتاءهم كما قال عليه السلام أفضل صدقتك على ذي رحمك الكاشح
وقال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين
جمع المسكين وهو الذي أسكنته الخلة وأصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر وابن السبيل المسافر
سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين

الذين ألجأهم الحاجة إلى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وإن جاء على فرس وفي الرقاب وفي تخليصها
بمعاونة المكاتبين أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها وأقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة
يحتمل أن يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها
وبالثاني أداؤها والحث عليها ويحتمل أن يكون المراد بالأول نوافل الصدقات أو حقوقا كانت في المال سوى
الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين
في البأساء والضراء نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال وعن الأزهري
البأساء في الأموال كالفقر والضراء في الأنفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو أولئك الذين صدقوا
في الدين واتباع الحق وطلب البر وأولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى
جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة
أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير إلى الأول بقوله من آمن إلى والنبيين وإلى
الثاني بقوله وآتى المال إلى وفي الرقاب وإلى الثالث بقوله وأقام الصلوة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها
بالصدق نظرا إلى إيمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار بقوله
عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء
وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا ولا تدل على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى
كما لا تدل على عكسه فإن المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض
فإنما منع مالك والشافعي رضي الله عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه أن رجلا قتل
عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذي عهد
ولا حر بعبد ولأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الأطراف
ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لأنه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن
واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف إذ الواجب على التخيير يصدق عليه أنه
وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل و
القصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من أخيه شيء أي شيء من العفو لأن عفا لازم
وفائدته الإشعار بأن بعض العفو كالعفو التام في إسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به
وهو ضعيف إذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب قال الله تعالى عفا الله
عنك وقال عفا الله عنها فإذا عدي به إلى الذنب عدي إلى الجاني باللام وعليه ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته

في ٣ انفس

عن ان يتكافأوا ولا يفضل احدهما نفسه على الاخرى مقام القصاص

من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف
عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به
وصية العافي بان يطلب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل
ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة
قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل و
النفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين
الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية
فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية
ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء
محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما
وذلك لان العلم به يردع القاتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول
فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في
الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير
المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي
الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا
كثيرا لما روي عن علي رضه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا و
الخير هو المال الكثير وعن عائشة رضها ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت
كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين
والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في
قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين
والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات
الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا
لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية

عن القتل م

بقرة

[illegible] بالوصية [illegible] او ما هنا [illegible] ما اوصى [illegible]

بما اوصى الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير
ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين
مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه و
تحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه
لانهم الذين خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف
من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وابو بكر موص جنفا ميلا بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للجنف فاصلح بينهم
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق
بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء
والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك
عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال
بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من
المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة
الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من
كل شهر او بكما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم
في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا
عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره
الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطره
فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر
فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه
على المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم
لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع
المساكين وقرأ هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد

[illegible] كو فعت

مسكين وقرئ يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه
اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة
لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به
القراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد فى الفدية فهو فالتطوع
او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون فى
الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اى
اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان
مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف
اى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول
وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض
اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع
داية من ابن داية علما للغراب للتعريف والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف
المضاف امن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض
الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى
انزل فيه القرآن اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل
منجما الى الارض او انزل فى شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبى عليه السلام نزلت صحف
ابرهيم اول ليلة رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما
يتضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى انزل وهو هداية للناس
باعجازه وايات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن
شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف
الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك
شهدت الجمعة اى صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

مخصصا

٥

مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم
نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان
ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر فى السفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى وشرع
جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه
والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
او لافعال كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون و
لتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال
وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد واذا
سالك عبادى عنى فانى قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم
واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلعم اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعانى تقرير للقرب و
وعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى
لمهامهم وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد
وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع
لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم
ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبى صلعم و
اعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى
يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه
وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما
على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا

منها بستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم
لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم أثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم
وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم وأثبته في اللوح من الولد والمعنى أن المباشر
ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي
عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق
وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان
خيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل ويجوز أن تكون من للتبعيض فإن ما يبدو
بعض الفجر وما روي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى الخيطين أسود وأبيض ولا يزالون يأكلون
ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت إن صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة
جائز أو اكتفى أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة إلى
الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم أتموا الصيام إلى الليل
بيان آخر وقته ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج
إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص
بمسجد دون مسجد وأن الوطء يحرم فيه ويفسده لأن النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله أي
الأحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل
أن يتخطى عنه كما قال الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي ولا يأكل
بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف أو الحال من الأموال وتدلوا
بها إلى الحكام عطف على المنهي أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام
لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين
الكاذبة أو ملتبسين بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعصية
مع العلم بها أقبح روي أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم
رسول الله صلعم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم

ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الأرض لعبدان فنزلت وفيه دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنا و
يؤيده قوله عليه السلام إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على
نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من نار يسألونك عن الأهلة
سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج إنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف
حاله وتبدل أمره فأمره الله أن يجيب بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يوقتون
بها أمورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فإن الوقت مراعى فيه
أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة
امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لأمر
وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الأنصار إذا
أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه
ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر وإنما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما
قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد
أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة
عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن
المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بمثال حال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس
البر أن تعكسوا مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من أبوابها
إذ ليس في العدول برا وباشروا الأمور من وجوهها واتقوا الله في تغيير أحكامه والاعتراض على
أفعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمته
وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة
المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ
والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الأول
ما روي أن المشركين صدوا رسول الله صلعم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف فيها
فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو المثلة أو قتل من نهيتم عن قتله
إن الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل
أو حرم وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان أو عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل

فيها قال فما تنقمون فاقتلوه فمن انف فليس الخلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي من مكة
وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن بها الانسان
كالاخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم إياكم
عنه أشد من قتلكم إياهم ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم
بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فإن قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم الذين
هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا
كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال والكفر
فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك
ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان
إلا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء
الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الأمر
عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية
في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه
فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص
فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله
في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم
وأنفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإنه يقوي العدو ويسلطهم على إهلاككم
ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا
نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل
انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي
الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك
وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول وأحسنوا أعمالكم وأخلاقكم
أو تفضلوا على المحاويج إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة وأقيموا الحج والعمرة لله وما روي جابر رضي الله عنه أنه
قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن أن تعتمر خير لك معارض بما روي أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه وجدت

الحج والعمرة مكتوبين علي فأهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه فسر وجدتهما
مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون الوجوب بسبب إهلاله بهما لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك
يدل على أنه سبب الإهلال دون العكس وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا
أو أن تجردهما للعبادة ولا تشوبهما بغرض دنيوي أو أن تكون النفقة حلالا فإن أحصرتم منعتم يقال
حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده وأصده والمراد حصر العدو
عند الشافعي ومالك لقوله فإذا أمنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو
وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر أو عرج فعليه الحج
من قابل وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي
اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر
أو فاهدوا ما استيسر والمعنى أن المحصر إذا أراد أن يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة أو بقرة
أو شاة حيث أحصر عند الأكثر لأنه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند أبي حنيفة يبعث
ويجعل للمبعوث بيده يوم أمار فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا
رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي المبعوث إلى الحرم بلغ محله أي
مكانه الذي يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا
كان أو حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق
للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن
كان منكم مريضا مرضا يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه كجراحة وقمل فعليه
فدية إن حلق من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روي أنه
عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق
بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فإذا أمنتم الإحصار أو كنتم في حال سعة
وأمن فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب إلى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في أشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج
فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه إذا أحرم
بالحج ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة إنه دم نسك فهو كالأضحية فمن لم يجد أي الهدي فصيام ثلاثة
أيام في الحج في أيام الاشتغال به بعد الإحرام وقبل التحلل وقال أبو حنيفة في أشهره بين الإحرامين
والأحب أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وأيام التشريق
عند الأكثرين وسبعة إذا رجعتم إلى أهلكم وهو أحد قولي الشافعي أو نفرتم وفرغتم

من اهله وهو قول الشافعي ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعةً بالنصب عطفاً على محل ثلاثة ايام تلك عشرة
فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد
جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه
يطلق لها كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد
كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور
عندنا والتمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه
دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا
فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي
عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند
ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه
او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام
به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع
على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية
او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث
فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج من حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات
ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة
على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين
بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان
قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل
مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل
نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان
يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية
اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء

سوى الله وهو مقتضى العقل المعرّى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب
بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء
ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من
عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف
المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كأذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية
والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير
عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث
وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة
تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم
عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم و
حواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة
الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها
بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام
جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه
عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر
الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه
كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او
كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة
واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا
من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر
الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في
قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة [illegible] جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه واستغفروا الله ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر
وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم

فأكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة كانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور
معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور
بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم
فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير
الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير
وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة
الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة
في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب
المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا
اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه
فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم
في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر
في يومين يوم النفر بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند ابي حنيفة
فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال
وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل
الجاهلية فان منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او
من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما
واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء
واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك
والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول
اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان

يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة
والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على
ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين و
الخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام
وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى
في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ
بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم
حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا
غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية
على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه
جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب
ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما
يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن
سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان
كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤوف بالعباد
حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها
الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك
يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف
الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او
ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا
السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل
الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في
السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله

عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك
جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه لقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا
او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل
وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة
فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب
الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على الظلل
او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ
وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على
البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا
بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم
كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء
وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى
مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها
سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن
من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان
الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحياة
الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على
الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا هو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان و
القوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون
من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزءون بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا مبدأ السخرية والذين اتقوا فوقهم
يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون
عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون
وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا
استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح
او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد

الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن
باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل
مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم
بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث
او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه
في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر
فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه
اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته
ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات
تشجيعا على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما يأتكم ولم
يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم
حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة
واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية
كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاءه لتأخره الا ان نصر الله قريب استيناف
على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول
الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات
قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون
عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق
من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل سأل عن المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير
في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس
في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه
طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه
كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته

انه كرها ووضعه كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فهو جميع ما كلفوا
فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس
اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان
الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية ... العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم
يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس
الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله عليه السلام الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائل
هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا او قيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال
عن الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ
بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى
دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع
سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام
على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دؤاد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد
بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم
العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور
انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي صلعم والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة
من كبائر قريش وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من
القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا
ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله
ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت
بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب
الشافعي رضي الله عنه والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا

لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا
نزلت ايضا في السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة
سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب
يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة
للعقل فنزلت هذه فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا
فأم احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان
بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار
فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت
انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره
سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام
مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد
حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره
والمعنى يسألونك عن تعاطيهما قل فيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور
وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة
اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون
قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو
العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي
العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن
ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد

او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد
العلامة والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة
في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل
اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم واصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم
حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة
المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي
يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم
من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما
يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ
بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكن خصت عنها بقوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين
فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم
ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله وإماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان
وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه و
لعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم والله اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
تفخيما لشأنهم يدعوا الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم احقاء بالمواصلة
باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون
لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك
عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك
الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما
ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت
في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا

النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم
كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة
ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل
عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطّهّرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله
فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض
جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى
نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا
حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة
شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله
بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر للرسول عليه السلام ان ينصحهم ويبشر من صدق وامتثل امره
منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في
الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله عنها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم
ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشيء
وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور
المحلوف عليها لقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل
ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة
للنهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه
لا يكون برا ولا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا
يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا
عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم

بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل
بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها
والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة
للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما
ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على
خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه
المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا
رجعوا عن اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة
ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم
عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي ان فاء في المدة
بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب
بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء
لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة
للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء
رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح
الى الرجال فأمرن ان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن
مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين
كقول الاعشى مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض
وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت
عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا
يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء
امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر
بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم
لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في
ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل باشتراطهن بل التنبيه على انه ينافي
الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح

والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع
فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل
حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي اهل بعولتهن وافعل هاهنا بمعنى الفاعل في ذلك اي
في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح
للرجعة بل التحريض عليه والمنع من الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق
على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة
زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن بالمهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة
لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق
والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان
اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه
التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة
فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان
بالتطليقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به
تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصداق روي ان
جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني
رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت
فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما
عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه
تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها اي فلا تتعدوها بالمخالفة ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد و
اعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا
عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة

وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا
والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه
سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله
فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا
والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله
الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا
تارة وبعوض اخرى والمعنى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق
الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي و
ان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة
ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى
المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد
لعن رسول الله المحلل له **فان طلقها** الزوج الثاني **فلا جناح عليهما ان يتراجعا** ان يرجع كل
من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج **ان ظنا ان يقيما حدود الله** ان كان في ظنهما انهما
يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور
غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم **وتلك
حدود الله** اي الاحكام المذكورة **يبينها لقوم يعلمون** يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال
لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو
الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه **فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف** اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار
او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به **ولا تمسكوهن ضرارا**
ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة
عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين **لتعتدوا**
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده **ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه** بتعريضها للعقاب **ولا تتخذوا آيات الله هزوا** بالاعراض عنها والتهاون
في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كأنه نهي عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل

كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق **واذكروا نعمة الله عليكم** التي من
جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها **وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة** القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما **يعظكم به** بما انزل عليكم **واتقوا الله
واعلموا ان الله بكل شيء عليم** تأكيد وتهديد **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن**
اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين **فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن** المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته
جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت
منه لا يكون لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله
واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه
اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم تخرج **اذا تراضوا بينهم** اي الخطاب والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن **بالمعروف** بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال من الضمير
المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من
غير كفو غير منهي عنه **ذلك** اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل او كل واحد او ان
الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله
يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد **يوعظ به من
كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر** لانه المتعظ والمنتفع به **ذلكم** اي العمل بمقتضى ما ذكر **ازكى لكم** انفع
واطهر من دنس الآثام **والله يعلم** ما فيه من النفع والصلاح **وانتم لا تعلمون** لقصور علمكم
والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب
فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات
يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن **حولين كاملين** اكده بصفة الكمال
لانه مما يتسامح فيه **لمن اراد ان يتم الرضاعة** بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة
او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى
مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه **وعلى المولود له** اي الذي
يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي

لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في
استيجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف
حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد
بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقرير اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه
ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله
على القرائتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان
يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة
الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق
فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا
مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي
اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه
وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة
فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما
قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته
فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به
لغرض او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة
الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه
فلا جناح عليكم فيه اطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا
سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم
اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز
الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر
الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج

الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك
لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم الا يوما
ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر
اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي
تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى
تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي
وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح
عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها
للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن
فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير
الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب
المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي
ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا
علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن
في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا
وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة
او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك
لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز
تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا
عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل
معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي
ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز

فاحذروه ولا تعزموا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حَلِيمٌ لا يعاجلكم
بالعقوبة لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل
انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ اي تجامعوهن وقرأ
حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً
الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به
فعيلة بمعنى المفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق
من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او
مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة
الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين وَمَتِّعُوهُنَّ عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده
قوله عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال
ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف مهر
المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي
في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم مَتَاعًا تمتيعا بِالْمَعْرُوفِ
بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حَقًّا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا
وتحريضا وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ
اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها وهو دليل على ان الجناح
المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ اي المطلقات فلا يأخذن شيئا
والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل
والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر ان ههنا ونصب المعطوف عليه أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ
النِّكَاحِ اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان
الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي
عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة
على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المس

استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها
قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ اي ولا تنسوا
ان يتفضل بعضكم على بعض إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضيع تفضلكم واحسانكم حَافِظُوا عَلَى
الصَّلَوَاتِ بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بهم عنها وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة
العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان اشق الصلوات
عليهم وكانت افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة
في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسط بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء
لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة الوسطى والصلوة
العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
وَقُومُوا لِلَّهِ في الصلوة قَانِتِينَ ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين
وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فَإِنْ خِفْتُمْ من عدو او غيره فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا
فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة
حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فَإِذَا
أَمِنْتُمْ وزال الخوف فَاذْكُرُوا اللَّهَ صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كَمَا عَلَّمَكُمْ ذكرا
مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة
مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مفعول علمكم وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِمْ قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين
يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون
وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع
على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او وعليهم وصية
وقرئ متاع بدلها مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية و
بمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع غَيْرَ إِخْرَاجٍ بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول
غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان
يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة

بنورثها الدين او الثمن والسكنى لها بعد تامة عندنا خلافا لاحمد فإن خرجن عن منزل الازواج
فلا جناح عليكم أيها الأئمة فيما فعلن في أنفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما
كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه
منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين
اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم
التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد
والتكرير للتأكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين
الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا
ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها ألم تر تعجيب وتقرير لمن
سمع قصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في
التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره
او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم
احياهم وهم ألوف اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون
جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا
اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله تعالى كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله
ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل
على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم
ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة
تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله
لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم ليستبصروا
ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار و
الاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر
لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا
ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء

من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة
ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق
في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد و
قرأ ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها
الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول
الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله
يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم لئلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل
الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن
للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او شمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع
على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف
لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط و
المعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده
تقريرا وتثبيتا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن
الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون بساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان النبي عليه السلام لما دعا
الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له
الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستأهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان
طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك

وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وما كان فيهم من السبطين
قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه
من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان
العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور
العلم ليتمكن به من معرفة الامور والسياسة وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب و
اقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم
يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
الصندوق فعلوت من التوب لا شتراكهما في الحسن والزيادة يريد به صندوق التوراة
وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم
الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه
ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه وآله السلام وقيل
وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم و
الوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا
موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني
اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم
ينظرونه اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم فتيمنوا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقها
الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال
العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي
الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة
وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه
فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني
اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده

استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على
الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير و
قرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ
الاصل في الشرب ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب
الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل
كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته
لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا
لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا
اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين
يظنون انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه و
علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا
للكثير المنخزلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة او مبينة
والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين
بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا
ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى
الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات
القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله
فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان
ايشي في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم
انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلاثة احجار وقالت انك بنا تقتل
جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل
ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولو
لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض
او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من
حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها

عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او
المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه
بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة
وفي الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله
بالنصب فان كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من
وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات
المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف
المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه
مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح
القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات
واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله
يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام
وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله
تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم
انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون
على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم
عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم
في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين
مكان ومن لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل
في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول

لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا
حفظه وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب
الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة
عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس
او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له
ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما
فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان
يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة
او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل
عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا
وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن
علمه او ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع
لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة
على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه
منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما
حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد
والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة
على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم
بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما
يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده
الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه
لا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن

آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية
الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن
قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **لا اكراه في الدين** اذ الاكراه
في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن **قد تبين الرشد من الغي** تميز الايمان من
الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة
السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه
والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **فمن يكفر بالطاغوت**
بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه
ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك بالعروة الوثقى** طلب الامساك من نفسه بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعار لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأي القويم **لا انفصام لها** لا انقطاع
يقال فصمته فانفصم اذا كسرته **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالنيات ولعله تهديد على النفاق **الله**
ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن **يخرجهم**
بهدايته وتوفيقه **من الظلمات** ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر
الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما
او استيناف مبين او مقرر للولاية **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت** اي الشياطين او المضلات
من الهوى والشيطان وغيرهما **يخرجونهم من النور الى الظلمات** من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر
وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت
في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته
به **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم
لشأنهم **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** تعجيب من محاجة نمرود وحماقته **ان آتاه الله الملك**
لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت
اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة **اذ قال ابراهيم** ظرف لحاج او بدل
من آتاه على الوجه الثاني **ربي الذي يحيي ويميت** بخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء
قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف **قال ابراهيم فان الله**
يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة

الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن
مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود
زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر
الملك وحماقته واعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال
له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه **فبهت الذي كفر** فصار مبهوتا وقرئ فبهت
اي فغلب ابراهيم الكافر **والله لا يهدي القوم الظالمين** الذين ظلموا انفسهم
بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة
او كالذي مر على قرية تقديره او أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه
بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية و
قيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على
المعنى كأنه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم عليه السلام ذكره جوابا لمعارضته
وتقديره او ان كنت تحيي فأحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر
بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي
خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع **وهي خاوية على عروشها**
خالية ساقطة حيطانها على سقوفها **قال انى يحيي هذه الله بعد موتها** اعترافا بالقصور
عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا
وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف **فاماته الله مائة عام** فالبثه
ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة عام **ثم بعثه** بالاحياء **قال كم لبثت** القائل هو الله
وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي **قال**
لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب **قال بل**
لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك **لم يتسنه** لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء
اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ
المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله **وانظر**
الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما
حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده **ولنجعلك آية**

للناس أي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي أنه أتى قومه على حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقرأ
التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع إلى منزله
كان شاباً وأولاده شيوخاً فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام يعني
عظام الحمار أو الأموات الذين تعجب من إحيائهم كيف ننشزها كيف نحييها أو نرفع بعضها على بعض
ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام أي انظر إليها محياة وقرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها من أنشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر
ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له أن الله على
كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه أو ما قبله أي فلما تبين
له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الأمر والآمر مخاطبه أو هو نفسه خاطبها به
على طريقة التبكيت وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى إنما سأل ذلك ليصير علمه
عياناً وقيل لما قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال له إن إحياء الله تعالى برد الروح إلى بدنها فقال نمروذ
هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على
الجواب إن سئل عنه مرة أخرى قال أولم تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة
قال له ذلك وقد علم أنه أعرق الناس في الإيمان ليجيب بما أجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن سألته لأزيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان إلى الوحي والاستدلال
قال فخذ أربعة من الطير قيل طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة و
فيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة
الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بها الغراب والترفع
والمسارعة إلى الهوى الموسوم بها الحمام وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص
الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب فصرهن إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها
وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الإحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال
ولكن أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرئ فصُرّهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره إذا جمعه فصرهن من التصرية وهي
الجمع أيضاً ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك
قيل كانت أربعة وقيل سبعة وقرأ أبو بكر جزؤاً بضم الزاي حيث وقع ثم ادعهن قل لهن
تعالين بإذن الله يأتينك سعياً ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء

يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه
بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها
فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهداً على فضل إبراهيم
ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر
الوجوه وأراه عزيراً بعد أن أماته مائة عام واعلم أن الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم
ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة
أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من
الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منها
سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن والبر
في الأراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه
وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا
يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى نزلت في عثمان رضي الله عنه فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها
وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد بإحسانه
على من أحسن إليه والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى
لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه
معنى الشرط إيهاماً بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة
وتجاوز عن السائل إلحاحه أو نيل مغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو من السائل بأن يعذره ويغتفر رده
خير من صدقة يتبعها أذى خبر عنهما وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن إنفاق بمن وإيذاء
حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر
كإبطال المنافق الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف
في محل النصب على المصدر أو الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائياً أو المصدر أي إنفاق رئاء
فمثله فمثل المرائي في إنفاقه كمثل صفوان كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل مطر عظيم القطر
فتركه صلداً أملس نقياً من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا
رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله إن الذي حانت
بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير والرشاد

وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يجتنب عنها ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض
انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه
ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع
مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها
لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون
للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله
من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها
او فالذي يصيبها او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر
والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز
ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل
والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار
ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها
ويجوز ان المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب
والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه
او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل
حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كالرياء والايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة
واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى
بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما
اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه
ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تاموا
ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث

بربوة

طل

يكون

تاموا تيمموا
او مما اخرجنا

والجملة حال منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه
الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم
فانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد
في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بضم الفاء والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء
ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق
مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا وفي الآخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق
عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني
ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا
كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر
كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم
والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم
من نذر بشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين
الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم
من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون
واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم
فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي
صدقة السر في التطوع افضل من علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي الله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة
على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس
مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي
من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير
من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم فلا تمنوا به غيركم ولا تمنعوا عنه ولا تنفقوا الخبيث وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء

نكفر

وجه الله

وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث و
قيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم
أصهار ورضاع من اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا في غير الواجب
اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء
متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين
أحصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها
للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم
الجاهل بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم
من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا و
هو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده والمعنى
لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه
على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم
علانية ودرهم سرا وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر
محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اى الآخذون له وانما
ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع
مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو
كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس من الجنون وهذا ايضا من
زعماتهم ان الجن يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس
الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم

ولكن الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله
وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق
بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع
رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته
النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ
وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من
موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على
انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا
اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام
ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت الزكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي و
لا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله
ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما
يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون
على فائت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس
من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش
فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا
بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا
يقتضي كفره وروي انها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم
رؤوس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم
يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة
وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة
او فليكن نظرة وهي الانتظار وقرئ فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب
وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم

بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر
الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو
ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في راس المائتين والثمانين
من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات
يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا
او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث
على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه
لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما
علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله
اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال
والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املي
فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع
ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره
ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة
في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على
الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء
وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامرأتان فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة
التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة
ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على الشرط

فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان
تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه
صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا
كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط
عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام
على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب وادنى الا
ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا
تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة
تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم
والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر
التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا
يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن
ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه
فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد
بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان
وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في
المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتب
في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابو عمرو وابن كثير فرهن كسقف
وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء بالتخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين
بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ الذيتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة

عن الدرة في حكمها فلا تدعم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغة ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه
يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة
فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه
وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم
به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب
من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف
وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا
في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير
الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين و
باعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن
مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس و
الفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب
لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه
كقوله وكل أتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين و
لذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك
غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم
بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها
بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال
ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر
بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه
النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او
اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع

المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي
الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز
ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ
ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم
فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة
في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف
بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد هاهنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح
ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت
مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد
به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة
كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة
البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط
القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة
والله اعلم

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو
انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم
الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين
فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في
ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه و
عنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره
او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل
التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل
تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربية وقرأ
ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون

فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان
قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب
الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل
سائر ما يفرق بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهار
لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات
ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم
والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم
والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات
النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم
الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا
وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية و
الاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته
لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته
وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فانه وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى
فنزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي
انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب
اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر
متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر
فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط
المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات
واما قوله الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها
فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف
او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه
فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك و
التلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون

الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل
وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا و
تمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة و
خواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون
آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه
والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما
استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في
تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى
بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه
بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا
يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا
عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا
الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى
ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل
بما ينعم على عباده ولا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع
اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل
ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه والاشعار به وتعظيم الموعود كرر الخطاب واستدل
به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدليل منفصل كما هو مشروط
بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا
العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او
من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم اي اهل وقودها كدأب آل فرعون
متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل
تقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى
الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب

تمويل للموافقة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم
أي قل لمشركي مكة ستغلبون يوم بدر وقيل لليهود فإنه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع
فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك أصبت أغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
أنا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على أن الأمر بأن يحكي لهم ما
أخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم أو استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم
أو ما مهدوه لأنفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش أو لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين
التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون
المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من ألف أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان
بعدما قللهم في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم وتوجهوا إليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مددا
من الله للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر
الذي وعدهم الله به في قوله إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب
بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول أي يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين
والنصب على الاختصاص أو الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره
من يشاء نصره كما أيدهم ببدر إن في ذلك أي في التقليل والتكثير أو غلبة القليل عديم العدة على الكثير
شاكي السلاح وكون الواقعة آية أيضا يحتملهما ويحتمل وقوع الأمر على ما أخبر به الرسول لعبرة لأولي الأبصار
لعظة لذوي البصائر وقيل لمن أبصرهم زين للناس حب الشهوات أي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة وإيماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله أحببت حب الخير والمزين هو
الله لأنه الخالق للأفعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء أو لأنه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا
كان على وجه يرتضيه الله أو لأنه من أسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فإن الآية في معرض الذم
وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة
ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في أنه فعلال أو فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتوكيد
كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها أو
المطهمة والأنعام الإبل والبقر والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا إشارة إلى ما ذكر والله
عنده حسن المآب أي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات
المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير أن ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا

عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير
ويجوز أن يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وأزواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم في رواية أبي بكر في
جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله
بصير بالعباد أي بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات
وقد نبه بهذه الآية على نعيم فاد بأحقر متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله أكبر وأوسطها
الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين
أو للعباد أو مدح منصوب أو مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الإيمان دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة
أو الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين حصر لمقامات السالك على أحسن
ترتيب فإن معاملته مع الله إما توسل وإما طلب والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على
الفضائل والصبر يشملهما وإما بالبدن وهو إما قولي وهو الصدق وإما فعلي وهو القنوت الذي هو
ملازمة الطاعة وإما بالمال وهو الإنفاق في سبل الخير وأما الطلب فبالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب
بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها
وتخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما
للمتهجدين قيل إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله أنه لا إله إلا هو
بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها والملائكة وأولو العلم
بالإيمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما
للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وإنما جاز إفراده بها ولم يجز جاء زيد و
عمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة أو عن هو والعامل فيها
معنى الجملة أي تفرد قائما أو أحقه لأنها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفي وفيه ضعف وهو
مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا عن الضمير وقرئ قائم بالقسط على البدل من
هو أو الخبر لمحذوف لا إله إلا هو كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد
إقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم
بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد وقد روي في
فضلها أنه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق
من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله إن الدين
عند الله الإسلام جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام وهو

التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام وقرأ الكسائي بالفتح على أنه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الإسلام
بالإيمان أو بما يتضمنه وبدل الاشتمال إن فسر بالشريعة وقرئ أنه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثاني
واعتراض ما بينهما أو إجراء شهد مجرى قال تارة وعلم أخرى لتضمنه معناهما **وما اختلف الذين أوتوا
الكتاب** من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة في دين الإسلام فقال قوم إنه حق وقال قوم إنه مخصوص بالعرب
ونفاه آخرون مطلقا أو في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده
وقيل هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى **إلا من بعد ما جاءهم العلم** أي بعد ما علموا حقيقة الأمر أو تمكنوا من
العلم بها بالآيات والحجج **بغيا بينهم** حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر **ومن يكفر بآيات
الله فإن الله سريع الحساب** وعيد لمن كفر منهم **فإن حاجوك** في الدين وجادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج
فقل أسلمت وجهي لله أخلصت نفسي وجملتي له لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت إليه
الآيات والرسل وإنما عبر بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس **ومن اتبعن**
عطف على التاء وحسن للفصل أو مفعول معه **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين** الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب
أأسلمتم كما أسلمت لما وضحت لكم الحجة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل أنتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة
أو المعاندة **فإن أسلموا فقد اهتدوا** فقد نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها من الضلال **وإن تولوا فإنما عليك
البلاغ** أي فلم يضروك إذ ما عليك إلا أن تبلغ وقد بلغت **والله بصير بالعباد** وعد ووعيد **إن الذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب أليم** هم أهل الكتاب الذين في عصره قتل أولوهم الأنبياء ومتابعيهم وهم رضوا به
وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين
وقد منع سيبويه إدخال الفاء في خبر إن كليت ولعل ولذلك قيل الخبر **أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**
كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق أنه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما **وما لهم من ناصرين** يدفع عنهم العذاب
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب التوراة أو جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض أو البيان وتنكير النصيب
يحتمل التعظيم والتحقير **يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم** الداعي محمد صلوات الله عليه وكتاب الله القرآن أو التوراة
لما روي أنه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت فقال على دين إبراهيم فقالا
إن إبراهيم كان يهوديا فقال هلموا إلى التوراة فإنها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم
على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على أن الأدلة السمعية حجة في الأصول **ثم يتولى فريق**
استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب **وهم معرضون** وهم قوم عادتهم الإعراض والجملة حال
من فريق وإنما ساغ لتخصيصه بالصفة **ذلك** إشارة إلى التولي والإعراض **بأنهم قالوا لن تمسنا النار
إلا أياما معدودات** بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ **وغرهم

في دينهم ما كانوا يفترون** من أن النار لن تمسهم إلا أياما قلائل أو أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم أو أنه
وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه** استعظام لما
يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات روي أن أول راية ترفع يوم القيامة من
رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار **ووفيت كل نفس ما كسبت**
جزاء ما كسبت وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار لأن توفية إيمانه وعمله لا يكون في
النار ولا قبل دخولها فإذن هي بعد الخلاص منها **وهم لا يظلمون** الضمير لكل نفس على المعنى لأنه في معنى كل إنسان
قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف و
قطع همزته وتاء القسم وقيل أصله يا الله أمنا بالخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فإن الميم عنده تمنع الوصفية
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء لمن تشاء وتسترد فالملك الأول عام والآخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم **وتعز من تشاء وتذل من تشاء** في
الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان **بيدك الخير إنك على كل شيء قدير** ذكر
الخير وحده لأنه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا أو لمراعاة الأدب
في الخطاب أو لأن الكلام وقع فيه إذ روي أنه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله يخبره فجاء فأخذ المعول منه فضربها
ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون
وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر
من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها
فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة
وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على أن الشر أيضا بيده بقوله إنك
على كل شيء قدير **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب** عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار
والموت والحياة وسعة فضله دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وإيتاء الملك
ونزعه والولوج الدخول في مضيق وإيلاج الليل والنهار إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة
والنقص وإخراج الحي من الميت وبالعكس إنشاء الحيوانات من موادها وإماتتها أو إنشاء الحيوان من النطفة
والنطفة منه وقيل إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر
الميت بالتخفيف **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء** نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما

حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا لله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء
فليس من الله في شيء اي من ولاية الله في شيء يصح ان يسمى ولاية فان الموالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود
عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم
ما يجب اتقاؤه او اتقاء الفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا او تخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه او موالاة اعدائه
وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب
يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في
السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان
لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها
متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه
اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم
تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا
بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما
عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر
اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتاكيد والتذكير
والله رؤف بالعباد اشارة الى انه انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم وانه لذو
مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة
ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا
لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول
في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف
الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك
بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه

روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد
المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا
من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم و
الدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية و
لذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل
فيهم الرسول عليه السلام وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى
وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيعاذر بن ابي يود بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن
اموص بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راحبعيم بن سليمان بن
داود بن ايشى بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذب بن رام بن حصروم بن فارص بن يهودا بن
يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او
منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع
فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع باقوال
الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة
عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت
فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة
رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها
بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال
فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم بقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى
الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها
بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك
نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها و
تجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها اي
ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله

اكمامه
اصلاحهم
اتباع
ابنا

اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر
والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس **واني سميتها مريم** عطف على اني وضعتها وما بينهما اعتراض
وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة **واني اعيذها بك** اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلعم ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود
بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها ربها** فرضي بها في النذر مكان الذكر
بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح
للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا
انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت
اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل
اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها نباتا حسنا** مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل ضمير الله
تعالى وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا **كلما دخل عليها**
زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس **وجد عندها رزقا** جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس **قال يا مريم انى لك هذا**
من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل
عليها من الجنة **ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون
من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال
هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته
الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك دعا زكريا ربه** في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله **قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة** كما وهبتها لحنة
العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك

ذرية طيبة لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة **انك سميع الدعاء** مجيبه
فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبرئيل وحده وقرا حمزة والكسائي
فناداه بالامالة والتذكير **وهو قائم يصلي في المحراب** اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او
حال آخر او حال عن الضمير في قائم **ان الله يبشرك بيحيى** اي بان الله وقرا حمزة وابن عامر بالكسر على
ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه
للتعريف ووزن الفعل **مصدقا بكلمة من الله** اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات
التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته **وسيدا** يسود قومه ويفوقهم
وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية **وحصورا** مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي
انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت **ونبيا من الصالحين** ناشئا منهم او
كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة **قال رب انى يكون لي غلام** استبعادا من حيث العادة
واستعظاما او استفهاما عن كيفية حدوثه **وقد بلغني الكبر** ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع و
تسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون **وامراتي عاقر** لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من
الاولاد **قال كذلك الله يفعل ما يشاء** اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد
من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او الله مبتدا
وكذلك خبره اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان لها او كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان **قال رب اجعل لي آية**
علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار **قال آيتك الا تكلم الناس**
ثلاثة ايام الا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله و
شكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال **الا رمزا**
اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين
كقوله **واذكر ربك كثيرا** في ايام الحبسة وهو
مؤكد لما قبلها مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار **وسبح بالعشي**
من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل **والابكار** من طلوع الفجر الى الضحى
وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار **واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك و**
اصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا
او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها و
الاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب و
تطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد

من غرائب وتنبيهها عما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة
عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او
ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة
الطاعة كقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لقوله وادبار السجود وبالركوع
الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها
الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بالاقلام التي
كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع
المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان
ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا
ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ
قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك
لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من
الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما
من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل ومن
العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في
سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد به ان الذي يعرف به ويتميز
عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف
وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء
ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة
وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره وتذكير الضمير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة
الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم
الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي
به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية
ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب
انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال
كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل او الله وجبرئيل حكى له قوله اذا قضى امرا فانما يقو

له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة
من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها
وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا
الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول
ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال
وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم
اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرأ
نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح
العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي
الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس
من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم
التي لا تشكون فيها ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على
الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره
او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض
الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت
وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن
بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم
باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي
وجئتكم باية اخرى القيتها عليكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل
الفارق بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني
لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة
فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله
ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة

الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر
ذلك بأن بيّن ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم
استقم فلما أحس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من أنصاري
الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بأنصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين
يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى هاهنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل
خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى
لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين
يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون
لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم
او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من
يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل
حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين
اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين
او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات
العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى
ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر
ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة
ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم
بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره
نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى
الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن
تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شانه الغريب كشان آدم

خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم
من تراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اي انشأ بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون
ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ و
من ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات
او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل
تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا و
انفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم
على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة
بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين
عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله
لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي
خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء
وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته
عليه السلام ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد
ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلته لانه اقرب الى المبتدأ من
الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في
تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن
الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل
الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا و
بينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ألا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص
فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار

فما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون
بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه
انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما
تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم
دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد و
سلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك
ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون
في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق
انه منهم فترافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل
على موسى وعيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليها افلا تعقلون
فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه
نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء
الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده
فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل
ها انتم اصله اانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرا نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع
بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي بقصر
المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد
انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به
عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به
واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له
في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم
والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم
وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما

لم يجد من الجدوى وهي الفائدة

يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
بما نطقت التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عليه السلام وانتم تشهدون انها ايات الله او
بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم
تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون
بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق
نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب
امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقران اول النهار و
اكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل
ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل
عليهم من الصلوة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا
اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه
ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار
الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته
عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد
حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان
كيدهم لا يجدي بطائل او خبر على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد
الوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك
كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار
لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب
فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
قائما على راسه مبالغة في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول

عليه بقوله لا يؤده

بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا من اهل الكتاب
ولا يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون
وذلك لانهم استحلوا الظلم لمن خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش
فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلعم انه
قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر
بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر
بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به
من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا
يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر
انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه
وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم و
لهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلعم وحكم الامانات وغيرها
واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في
ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب
ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن
قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه
بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو
من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عند الله وهذا
لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعلا لله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل
عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى عم وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما
بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا
نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين

ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني
وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب
وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى
درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب عطفا على ثم يقول
وتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة
نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا
يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال
ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون
لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى و
قيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد
اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية
اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة
والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان
اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به
قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة و
انا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن
تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من
الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره
ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو
وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات

والارض طوعا وكرها اى طايعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يُلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه ترجعون وقرى بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلعم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسول يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على ساير الرسل لانه المعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون فى عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين الواقعين فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى اللعنة او فى العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى عم والانجيل بعد الايمان بموسى عم والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عم والقرآن او كفروا بمحمد عم بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا

عطف

بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشىء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرى بالرفع على البدل من ملاء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شىء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة فى التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضا والجنة والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح او رايح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلعم اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عم ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرى بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شىء اى من اى شىء محبوبا او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبنى اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب عم على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن الله تعالى فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة عما نعى عليهم فى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتان بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منعهم النسخ والطعن فى دعوى الرسول موافقته لابراهيم عليه السلام ... قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب

ذهبا
ملء الارض ذهبا او بمثل ما يصح به على الفضل مقدار ... فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فى الدنيا ...

الجزء الثالث

حتى تنفقوا مما تحبون
اى من المال او ما يعم وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله

ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته **فمن افترى**
على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم **من**
بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة **فاولئك هم الظالمون** الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون
الحق بعد ما وضح **قل صدق الله** تعريض لكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم عليه السلام او مثل ملته حتى تتخلصوا من
اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم
ومن بعده **وما كان من المشركين** فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين
والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود **ان اول بيت وضع للناس** اي وضع للعبادة وجعل
متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل **للذي ببكة مباركا** للبيت الذي ببكة وهو لغة
في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هو موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا
زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عليه السلام ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش
وقيل هو اول بيت بناه آدم عليه السلام فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم عليه السلام وقيل كان في موضعه قبل آدم
بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة
يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان **مباركا** كثير الخير والنفع
لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم و
متعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال **فيه آيات بينات** كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا يتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل
والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى **مقام ابرهيم** مبتدأ محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل
من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصه
فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء عليهم السلام وحفظه مع
كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام
على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه **ومن دخله كان آمنا** جملة ابتدائية او شرطية
من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله وفيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من
دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني
في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في
احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له

لكن الجئ الى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع اليه سبيلا** بدل من الناس مخصص له وقد
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على
الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله انها بالبدن فيجب على من قدر بالمشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة
رحمه الله انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله **ومن كفر فان الله غني عن العالمين**
وضع كفر موضع لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا لتاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية
وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام
وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء في هذا الموضع مما يدل على المقت
والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم
السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله
روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة
واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** اي بآياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل
على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على ما تعملون**
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار **قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن**
سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين
مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين
ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون
لصدهم عنه **تبغونها عوجا** حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان
فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر
دينهم **وانتم شهداء** انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم
ويستشهدونكم في القضايا **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم
يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما تعملون **يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب**
يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان

الطوية ذكر اليوم للاوس فغضب فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من
القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم واصحابه فقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله (من المهاجرين والانصار)
بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول صلعم وانما خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما امر الرسول
بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله تعالى ويكلمهم وكيف
وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب
الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع
اموره فقد هدى الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن
المحارم لقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر
تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا
فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان
النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما
وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عم القران حبل الله المتين استعار له
الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي وللوثوق
به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق
ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف
وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته
اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله تعالى وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلعم وكنتم
على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم
في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى (او للنار)
الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في
المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلايله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى
وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر

من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي
له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام
بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط
بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف و
النهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون واولئك هم المخصوصون
بكمال الفلاح روي انه عم سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله و
اوصلهم وللامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر كله لان جميع ما انكره الشرع حرام
والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال
الاخرة كما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر
ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عم اختلاف امتي رحمة ولقوله عم من اجتهد
فاصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على
التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض
الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم
وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلعم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به
حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب اهانة
بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة و
الثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته
وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين
وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها
خالدون تلك ايات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء
فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع
الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعده كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرا

كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت
للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة
او خبر ثان لكنتم وتومنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يومن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به
اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يومن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم
آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك
ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المومنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان
على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم
سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاتلوا الى القتال كان الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان
وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية
من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم
الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله و
حبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او
متلبسين بذمة الله او بكتابه الذي آتاهم او ذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المومنين و
باءوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات
وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم
حدود الله فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يودي الى الكفر وقيل معناه
ان ضرب الذلة في الدنيا واستحقاق الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم
واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من
اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء القائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود
فقام وهم الذين اسلموا يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر
عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان
اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل

الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يومنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود
فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر
بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي
الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من
خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته
الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدا الخير
وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا او
من الله شيئا ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة
الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر
نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث
كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال
بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن
انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها
او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد
اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر وكقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره شبه ببطانة الثوب كما شبه
بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او
بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير
واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا
ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون
انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد
بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون
ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء
تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلة او حال والعامل فيها

لادهم
من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا و
اولئك اصحاب النار ملازموها
هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون

او لا وقد ينفع المنفق فيه مخيب ظنه وقد يتعلق بالباطل... (marginal gloss, partly illegible)
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ... نعمة بم ح
يكون ؟
منهم ح

معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا **وتؤمنون بالكتاب كله** بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم **واذا لقوكم قالوا آمنا** نفاقا وتغريرا **واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ** من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به **ان الله عليم بذات الصدور** فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها** بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالكم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابكم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة **وان تصبروا** على عداوتهم او على مشاق التكليف **وتتقوا** موالاتهم **لا يضركم كيدهم شيئا** بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره **ان الله بما يعملون** من الصبر والتقوى وغيرهما **محيط** علما فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه **واذ غدوت** اي واذكر اذ غدوت **من اهلك** من حجرة عائشة رضي الله عنها **تبوئ المؤمنين** تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام **مقاعد للقتال** مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك **والله سميع** لاقوالكم **عليم** بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلعم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا **اذ همت** متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت **طائفتان منكم** بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر **ان تفشلا** ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعد

النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله **والله وليهما** اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر **ولقد نصركم الله ببدر** تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به **وانتم اذلة** حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح **فاتقوا الله** في الثبات **لعلكم تشكرون** ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه **اذ تقول للمؤمنين** ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة **الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين** انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج **بلى** ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال **ان تصبروا وتتقوا وياتوكم** اي المشركون **من فورهم هذا** من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة** في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تاخير **مسومين** معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو **وما جعله الله** وما جعل امدادكم **الا بشرى لكم** الا بشارة لكم بالنصر **ولتطمئن قلوبكم به** ولتسكن اليه من الخوف **وما النصر الا من عند الله** لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر **العزيز** الذي لا يغالب في اقضيته **الحكيم** الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة **ليقطع طرفا من الذين كفروا** متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم **او يكبتهم** او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب **فينقلبوا خائبين** فينهزموا منقطعي الآمال **ليس لك من الامر شيء** اعتراض **او يتوب عليهم**

هو الاتهم او ما حرم الله عليكم
المتدرب

في وعد
للرعب
اني ياتوكم
وابو عمرو

دون التردد به ؟

او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ذكروا وعيده

ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل او حكمه او حقه العظيم **فاستغفروا لذنوبهم** بالندم والتوبة **ومن يغفر**

ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس **الذنوب الا الله** استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة

من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب عليهم فتسر به عموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة **ولم يصروا على ما فعلوا** ولم يقيموا

او تعذبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة **وهم يعلمون**

ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به **اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات**

ان منهم من يؤمن **فانهم ظالمون** قد استحقوا التعذيب بظلمهم **ولله ما في السموات** **تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان

وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله لا لك **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها

بالتوبة وعدمها كالمنافية له **والله غفور رحيم** لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم **يا ايها الذين آمنوا لا** المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل

تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الوقائع اذ كان الرجل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه

يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا

ويعقوب مضعفة **واتقوا الله** فيما نهيتم عنه **لعلكم تفلحون** راجين الفلاح **واتقوا النار** الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله **ونعم اجر العاملين** لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل

التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة

للكفار وبالعرض للعصاة **واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات **قد خلت من قبلكم سنن**

عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل جزاء له **وسارعوا** وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين

بادروا واقبلوا **الى مغفرة من ربكم** الى ما تستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص من فضل كفضلكم ولا ادى مثله في سالف السنن **فسيروا في الارض فانظروا كيف كان**

نافع وابن عامر سارعوا بلا واو **وجنة عرضها السموات والارض** اي عرضها كعرضهما **عاقبة المكذبين** لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم **هذا بيان للناس وهدى وموعظة**

ذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة

ارضين لو وصل بعضها ببعض **اعدت للمتقين** هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها **للمتقين** والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للحث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن

عن هذا العالم **الذين ينفقون** صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع **في السراء والضراء** **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل

والاحوال كلها اذ لا يخلو الانسان عن مسرة ومضرة او لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل **وانتم الاعلون** وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل

والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت فاها وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او انتم الاعلون

راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا **والعافين** في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي

عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد القلب بالوثوق على الله عز وجل او بالاعلون **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** قرأ

كثيرا في الامم التي مضت **والله يحب المحسنين** يحتمل الجنس فيدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون اشارة اليهم حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل

والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا **او ظلموا انفسهم** بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم

وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا

منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام **وتلك الايام نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل لهؤلاء

لانذارهم

احد

الضياع وتخطوا

حتى؟

عزة

التسابق

للمتقين

امضائه

بالفتح

او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل
ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس
لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب عليهم فتسر به
او تعذبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه
ان منهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا فله الامر كله لا لك يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد
بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا
تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل
يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة
واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار
التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات
للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن
المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا
بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما تستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ
نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر
العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع
ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة
عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال
الرخاء والشدة او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت
راسها وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن
الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلعم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد
كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان
وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك

كروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر
الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة
وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا
على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون
حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان
عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها
المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل
على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفة المذكورة في الآية المتقدمة وكفى فارقا بين الفريقين انه
فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل
بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن
وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ولا ادري مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة
للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل
منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او انتم الاعلون
في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي
قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ
حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل
هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم
يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا
منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء

لا بذا دمهم
احد
حتى
امضائه
بالغة
الصفات وتخطوا

تارة ولهؤلاء أخرى كقوله فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم
والأيام تحتمل الوصف والخبر ونداولها تحتمل الخبر والحال والمراد بها أوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا
عطف على علة محذوفة أي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله إيذانا بأن العلة فيه غير واحدة وإن ما يصيب المؤمن فيه من
المصالح ما لا يعلم أو الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك
والقصد في أمثاله ونقائضه ليس إلى إثبات علمه تعالى ونفيه بل إلى إثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل
يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء
أحد أو يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين
الذين يضمرون خلاف ما يظهرون أو الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على أنه لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وإنما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
ويمحق الكافرين ويهلكهم إن كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا أم حسبتم أن تدخلوا الجنة
بل أحسبتم ومعناه الإنكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على
أن فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ بفتح الميم على أن أصله يعلمن فحذف النون ويعلم الصابرين
نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع وقرئ بالرفع على أن الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وأنتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت أي الحرب فإنها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم
يشهدوا بدرا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلعم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم
أحد على الخروج من قبل أن تلقوه من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون
أي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم وهو توبيخ لهم على أنهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا
عنها أو على تمني الشهادة فإن في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم إنكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموته
بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل علة
أو قتل سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته لإنكار أن يجعلوا خلو الرسول قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم
روي أنه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان
صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه قتل النبي صلعم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأ
الناس وجعل الرسول صلعم يدعو إلي عباد الله فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق
وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم
ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده
فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ إليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت

ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الإسلام
بالثبات عليه كأنس وأضرابه وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله إلا بمشيئته تعالى أو بإذنه لملك
الموت عليه السلام في قبض روحه والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بالإحجام عن القتال والإقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الأجل كتابا مصدر
مؤكد إذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له أي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد فإن المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون فلما رأى الرماة
ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها
أي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين أصله
أي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه
أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى ألفا
كما أبدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء أتقياء وعابدون لربهم
وقيل جماعات والربي منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب قتل
وإسناده إلى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الأول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح
على الأصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله فما فتروا
ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم وما ضعفوا عن العدو أو في الدين وما استكانوا
وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والألف من إشباع
الفتحة أو استكون من الكون لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم عند
الإرجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم إلا أن قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى
أنفسهم هضما لها وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر
على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب إلى الإجابة وإنما جعل قولهم خبرا لأن أن قالوا أعرف لدلالته على جهة
النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم
الله بسبب الاستغفار والالتجاء إلى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن إشعارا
بفضله وأنه المعتد به عنده يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا
خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل إن تستكينوا لأبي
سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فإنه يستجر

لا موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله وهو خير الناصرين
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في
قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر
لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم
ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم سلطانا
وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان
ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى
الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة
ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر
والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم
ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا
عنكم تفضلا لما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او ديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم
او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد
لا يقف واحد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا
بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتم
رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل
لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة
لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه

ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله
خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف
يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او
هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن
كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء ردا الى الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم
انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب
على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر
نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها
باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله
اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض
وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير
يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي
في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء
كما وعد محمد عليه السلام او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن ابي
وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله
ما في صدوركم ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي
وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا
وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار
حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه

واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل
استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم
لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان
حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في
النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل
الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيل الله وقرأ
نافع وحمزة والكسائي متم بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب
القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله
فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم
او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره
لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم
فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى
اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر
الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة
فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه
سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين
فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم
وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه

فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب
خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به
وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا
من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم
احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم و
اما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلعم فقسم على من معه ولم يقسم
للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من
وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال
ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا
بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي وما واه
جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع
هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات
والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين
انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ
لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من
جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به و
قرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم آياته
اي القرآن بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة
واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم
مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما
سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرف المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين
هذا

منون له

واه

على المؤمنين

مثلا ما اصابنا و قد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة
الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والطاعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي
رضه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب
منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو
كائن بقضائه او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل
في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين
ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد
المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح
ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما
اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم
ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف
ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما
يكتمون من النفاق وما يخلوا به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات
الذين قالوا لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا اى
بعد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بالتشديد
في الثاء قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على
دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن
فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله
صلعم او لكل احد وقرأ هشام بالتاء وبالياء ايضا كما قرئ على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى
الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد
لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون
من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة
الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم
اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم

يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم
من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن
فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب
البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون
عليها الآية وما روى ابن عباس انه عم قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل
من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء
يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على
الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه
وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم
ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة
عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك
اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله
والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم و
اتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان
المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس
فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس
يعني الركب الذي استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسهم كما يقال فلان
يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر
القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون الميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا
المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد
المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ٥

فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز
لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازدادوا ايمانهم واظهروا حمية الاسلام
اخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل
الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا
حسبنا محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة
في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة
عافية من الله وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها
سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط
الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان
والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة
النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما
فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان
لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان
يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة
امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا
يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او
قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا
اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرا نافع
يحزنك بضم الياء وكسر الزاء حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاء فيه
والباقون كذلك في الكل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل
على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم
حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم
للحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول
يحسب

لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين لقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني
على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا يحسبن حال الذين كفروا ان
الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول
وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من
املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم
قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاول ولا يحسبن
بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير
اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز
ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
من اختلاط المؤمنين بالمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف
مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر
عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به
على عقائدكم وقرا حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون
بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من
رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه
يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله
ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم
الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يكفر منا ومن يؤمن
فنزلت وعن السدي انه عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه فلا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا
تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او من يحسب وان جعله
الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم
لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وباله الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم

القصة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهولآء يبخلون عليه بماله او انه
يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون
من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالياء على الالتفات وهو
ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود
لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء عليه اللعنة ان الله فقير حين سأل
فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والمعنى
انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه
في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقرآن والرسول ولذلك
نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه
امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا
عذاب الحريق وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك
الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره هاهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي
عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطالب ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر
ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر
بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسبب
للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب
بن الاشرف ومالك وحيي بن اخطب وفنحاص ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا
ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة
التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيل الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات
شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب
للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترءوا
على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير
تسلية لرسول الله من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع الزبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا
والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل
المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة

على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة
الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا
يوم القيمة يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله
عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل
تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه
السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور
مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم
بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين
اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان
تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو امضائه
واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء لتبيننه ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم
الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم
يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه واشتروا
به ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم و
عن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على
اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا
من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر والحسن بالياء وقرأ
ابن كثير وابو عمرو فلا يحسبنهم بالياء وضم الباء ايضا على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوف فان يدل عليهما
مفعولا مؤكد وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف

نحو المطاعم

سواء

للناس

والقاه بين عينيه

بالنجوة

دال
مفعوله

وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه
سأل اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا
وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت
في المنافقين بانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله
ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو
رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول
الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان
مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار
جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها
وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون
على الهيآت الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب
ايماء فهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه لا من مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق
السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب
والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا
وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا
باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من
السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوقات والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من
جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية
والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا
عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء في الدلالة على ان علمهم
بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد
فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه
على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار
اراد بهم المدخلين ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة
عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا

ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في
ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل القرآن
والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا
اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا
صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه
تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما ظهرا امتثالهم لما امر به سالوا
ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكونوا من الموعودين بسوء عاقبة او قصور في الامتثال
او تعبدا واستكانة ويجوز ان تعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل
معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن
واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال
المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم
الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام انى لا اضيع عمل عامل منكم اي بانى لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول
من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل
واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء
مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر
النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل
المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ
ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون
ولم يضعفوا لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو
والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب
وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ
ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت

مصدر مؤكد

متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما أعد الله للمؤمنين
قال عليه السلام ما الدنيا في جنب الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم
وبئس المهاد ما مهدوا لأنفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة
قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال
من جنات والعامل فيها الظرف وقيل إنه مصدر مؤكد والتقدير أنزلوها نزلا وما عند الله لكثرته
ودوامه خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله
نزلت في ابن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا
نصارى فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي لما نعاه جبريل إلى رسول الله صلعم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا
إلى هذا يصلي على علج نصراني وإنما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين إن بالظرف وما أنزل إليكم
من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار
المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من أحبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم
ما خص بهم من الأجر ووعدوه في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين إن الله سريع الحساب لعلمه بالأعمال
وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد أن الأجر الموعود سريع الوصول فإن سرعة الحساب
تستدعي سرعة الجزاء يا أيها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا
وغالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الأمر بالصبر
مطلقا لشدته ورابطوا أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من
الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا
غاية الفلاح أو اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات
ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة
والطريقة والحقيقة عن النبي صلعم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ
السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وخلق منها
زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منها أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف تقديره من نفس
واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء

بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة
واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكون أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع
وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة
الباهرة التي توجب طاعة موليها أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه
على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث واتقوا
الله الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فأدغمت التاء الثانية
في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا
على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام
كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم
معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا
وآتوا اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع على يتمى كأسرى
لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن
العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية إما للبلغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن
يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم
صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد الأول ما روي أن رجلا من غطفان كان
معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله
من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الأمر
الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس
مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم أي لا
تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله فليأكل بالمعروف
إنه الضمير للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا
وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أي إن خفتم أن لا تعدلوا في
يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال
فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن أو إن خفتم أن لا تعدلوا في
حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لأن

المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي أنه لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا
يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا
فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى
الصفة أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ما ملكت أيمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء
على أن لا مزيدة أي إن خفتم أن تجوروا **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن أعداد مكررة وهي ثنتين
ثنتين وثلث ثلث وأربع أربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن كانت
أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من
فاعل طاب ومعناها الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد
دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد **فإن خفتم ألا تعدلوا** بين
هذه الأعداد أيضا **فواحدة** فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف
أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة **أو ما ملكت أيمانكم** سوى بين الواحدة من
الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري
أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا يقال عال الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل
عن حد السهام المسماة وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الأزواج
وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة
إلى تزوج الأربع **وآتوا النساء صدقاتهن** مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف و
بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** عطية
يقال نحله كذا نحلة ونحلا إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر
إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء أو الحال من الواو أو الصدقات
أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات
وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول له أو حال من الصدقات أي دينا من الله شرعه
والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم **فإن طبن لكم عن شيء منه**
الضمير للصدقات حملا على المعنى أو جري مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق أي
كان ذلك وقيل للإيتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فإن وهبن لكم من الصداق عن طيب
نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل

الموهوب **فكلوه هنيئا مريئا** فخذوه وأنفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام
ومرؤ إذا ساغ من غير غصص أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل
الهني ما يلذه الإنسان والمري ما تحمد عاقبته روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساق
إليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها
وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل
نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافا
بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله **التي جعل الله لكم قياما** أي تقومون بها وتنتعشون
وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه
كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها مكانا لرزقهم
وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه **وقولوا لهم قولا معروفا** عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه **وابتلوا اليتامى**
اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات
العقد وعند أبي حنيفة رحمه الله بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه **حتى إذا بلغوا النكاح** حتى إذا بلغوا حد
البلوغ بأن يحتلم أو أن يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه و
أقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند أبي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده **فإن آنستم منهم رشدا**
فإن أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم بمعنى أحسستم **فادفعوا إليهم أموالهم** من غير تأخير عن حد البلوغ و
نظم الآية أن الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت
بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد
وقال أبو حنيفة إذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة
دفع إليه المال وإن لم يؤنس الرشد **ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا** مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته وأجرة سعيه
لفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل
من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وإيراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء
أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى **فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم** بأنهم
قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا
بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك رحمه الله خلافا لأبي حنيفة رحمه الله **وكفى بالله حسيبا** محاسبا فلا تخالفوا ما
أمرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان و
الأقربون**

وابو بكر بفتح الصاد آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع
لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل
وحرمان روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته
او لا تدرون من انفع لكم ممن يوصي منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد
لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض
عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان
لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او
بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع
مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين
فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا
يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل
اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه
وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل
الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة
البتة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال
ولا من حفى حتى الاقي محمدا فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة
ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله
اي للرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن ابي وقاص
وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام
وما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من
ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون
ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين
غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين
لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة
ابن كثير وابن عامر وعاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده
انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه
بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته

اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث تلك حدود الله شرائعه التي
هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله
وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل
معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جرتا
على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها
ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن
ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن
بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني
او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها
منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير
تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء
او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة للامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه
الآية سابقة على الاولى نزولا فكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في
اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده
من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه
وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب
اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر
وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع
عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم
سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه
بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب
التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة

منكم

فكان

غرغر المريض اذا تردد روحه في حلقه

والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة فكأنه قال
وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين
يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا
عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعداده لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة
من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بالصداق
الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة
والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل
العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء
من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم
عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن
لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون
بكسرها وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره
ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى
في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم
احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا
منه شيئا اي من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي أتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم للاثم
قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه
الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل و
لذلك فسر هاهنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداده
والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا

وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة
المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم
للنهي وكأنه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم و
التعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا
ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه
مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا
عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت
عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم
ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم
الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى
ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت
تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة
منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل
الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من
الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم و
ربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة
لان لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة
والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء
لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات
ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم
والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا ما ولدت شيئا اسد
فجوزا فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عليه السلام فرق
بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها
واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين

تمل لان عاملها مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن
في احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجرامم لا تقييد الحرمة واليه ذهب
جمهور العلماء وقد روي عن علي رضه جعله شرطا والامهات والربائب يتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن
اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر فى اللمس من نكح بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة رحمه الله
لمس المنكوحة ونحوه كالدخول **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** تصريح بعد اشعار دفعا للقياس
وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج **الذين من اصلابكم** احتراز عن
المتبنين لا عن ابناء الولد **وان تجمعوا بين الاختين** في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة
على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضه حرمتهما
آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية
التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عم ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام **الا ما قد سلف** استثناء عن لازم المعنى
او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله **ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء**
ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائي في جميع القرآن بكسر الصاد لانهن احصن
فروجهن **الا ما ملكت ايمانكم** يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين
والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رضه اصبنا يوم اوطاس سبايا ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن
فسألنا النبي عم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن
يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رحمه الله لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة
عليه **كتاب الله عليكم** مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض
الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت عليكم **ما وراء ذلكم** ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة
ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها **ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين** مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن
في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين
غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه
فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن
فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع **فريضة** حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر
محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة**

فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل
نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عم اباحها ثم اصبح
يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي
النكاح الموقت بوقت معلوم سمي به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن
عباس رضه ثم رجع عنه **ان الله كان عليما حكيما** بالمصالح فيما شرع من الاحكام **ومن لم
يستطع منكم طولا** غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة **ان ينكح المحصنات المؤمنات**
في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات
او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله **فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات**
يعني الاماء المؤمنات فظاهر الآية حجة للشافعي رضه في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق
حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رضه طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح
هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا
من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار
وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج **والله اعلم
بايمانكم** فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن
حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه
ويؤيده **بعضكم من بعض** انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام **فانكحوهن باذن اهلهن**
يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية
وآتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف
المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رحمه الله المهر للامة ذهابا الى الظاهر
بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان **محصنات** عفائف **غير مسافحات** غير مجاهرات بالسفاح
ولا متخذات اخدان اخلاء في السر **فاذا احصن** بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة
والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد **فان اتين بفاحشة** زنا **فعليهن نصف ما
على المحصنات** يعني الحرائر **من العذاب** من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو
يدل على ان العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف **ذلك** اي نكاح الاماء **لمن خشي العنت منكم**
لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم
من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء **وان تصبروا
خير لكم** اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك **والله غفور**

لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم
من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما وليبين
في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين
مفعول له اي يريد الخير لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا
طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى
ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد
والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها
أتباع واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل اليهود وقيل المجوس
فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات ميلا عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم
فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان
ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رض ثمان ايات في سورة النساء
هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه او اقصدوا
كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي
يحل بها تناول مال الغير لانه اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود
بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على
كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما
يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص رض تاول في التيمم لخوف
البرد فلم ينكر عليه النبي عم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس
وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس
والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة
بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه
انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى
القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه

وقيل المراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا
ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلي وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء
والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة
الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة عنها
كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عم انها
سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف
وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رض الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما
فوقها وما تحتها واكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران
فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب
على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى ان الله عاتب نبيه في كثير من خطراته
التي لم يعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع
كرامة وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد
والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب فهو مذموم لان تمني ما لم
يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل
ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عم ليس الايمان بالتمني وقيل
المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله
الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله الله
من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه
اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به
وقبل السين واو او فاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل شيء عليما كان
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة رضه قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا
نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان و الاقربون
ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها مما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا وراثا

مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الورثة وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر
للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدان او ولكل قوم جعلناهم موالي
حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من
مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه
فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على
ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط
وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على
الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرا الكوفيون عقدت
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف من القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب
تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما و
التعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر و
النفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها
فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا
والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات
للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امراة
ان نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل
لاسرارهم بما حفظ الله اي بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد و
بالتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ
الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله
او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
مطاوعة الازواج فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف
او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع للمبايتة اي لا تبايتوهن واضربوهن ضربا
غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب

كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على
علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا
او ينقص حقه فان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري
ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او
الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى
اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من
اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز
وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او
لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك رحمه الله لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح
فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق
اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله
كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا
واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره
وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار
الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة
وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك
من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك و
حصل بجنبك وقيل المراة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء
ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم
فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب
على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا محذوف الخبر تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون
الناس بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعم الله ومن كان كافرا لنعمه
فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون

للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام والذين
ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد
لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح و
استجلاب الذم او مبتدا محذوف الخبر مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله
واليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون ومن يكن
الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان
يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من
الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا
تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم
وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب
اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء
الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر
او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرا ابن كثير ونافع
حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها
وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل
اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال
هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح
اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد
على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم
وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس و
يكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض بيان لحالهم ثم اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت
ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان

تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان
تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرا حمزة والكسائي
تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تتنبهوا وتعلموا
ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر
مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون
فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة
وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع
كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او نسوة سكرى على ان الخطاب للجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى
اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا
في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي
جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين
فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز له المرور في المسجد الا
اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه
من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا تجدونه فيه او
جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض او
لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل ابن عمر والنخعي والشافعي المطلبي رضي الله عنه على ان اللمس
ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع
اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان
المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره
اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه التي ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى
عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين
جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه وقال

اصحابنا لا بد من ان تعلق باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه
وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي
انه عليه السلام تيمم ومسح بيديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هنا وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية
البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا
من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها
به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة
ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد
اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله
نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي
بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض
او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون
الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله
فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع
غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما
ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع كلاما يرضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به
او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك
ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا
ولا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا
وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت
قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو
في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان
يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا
الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها
من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او

١٥٥

في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق
القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار
والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول
من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم
الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم مسخا مثل مسخهم
او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات
او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به مسخ
الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه
مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به
مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به
لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد العفو بخلاف غيره ويغفر
ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوا
الكل بالفعلين على ان المراد ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو
من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض
لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية
كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن
يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى
الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق
الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلعم فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال لا قالوا والله ما نحن الا
كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى
عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم
بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين و
اصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق
فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة
انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وكفى به بزعمهم هذا او

قالوه م
قالوا م
خلود م
وقضاه م
وازكياء عنده م

بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام
ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا
الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلعم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم
الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في
كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت
يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم
اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك
ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير
اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا
وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم
اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا
يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ
فاذا لا يؤتوا بالنصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله واصحابه او العرب
او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم
الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل فكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله
يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم
الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه
الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه
اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين
امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا
بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا
كالشاة والبقر كذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا
العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة
لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين

آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم
فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة
الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح
في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه
رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلعم فصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السدانة والسقاية فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضه بان يرده ويعتذر اليه
وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى
بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة وقيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم
الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف
وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم
واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و
اولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة و
امراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق و
قيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم
فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد
ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه
فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به
منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان
رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر
بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت
بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك
ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين
يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
عن ابن عباس رضه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي ودعاه المنافق الى كعب بن

الاشرف

١٥٧ نسخة

ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى له
فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف
وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم
يحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان
يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس
يصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او
النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف
على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان او الحلف الكاذب من العقاب فاعرض
عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه
وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم
ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضيها حرف
شفقة لا نساه وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم
الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على
ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن
الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصب
لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان
عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما

لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه
او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها
تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او
من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل
ان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا
من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو
للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما
اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين انهم
الاباة يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا
او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد
تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت
في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من
الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال
اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا
عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب
وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب
في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث
كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة
التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية
والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم
الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في
طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة

وباطنهم ح

تثبيتا

الشراج من الماء في الحرة ه

العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان وهم اولو الالباب بانواع العيان القريب بحيث يكونون كمن
الشيء قريبا وهم الانبياء اولا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكونوا عرفانهم
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكونوا بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم
وهم الصالحون **وحسن اولئك رفيقا** في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال
والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم اتاه يوما
تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اركل اشتقت اليك واستوحشت حتى القاك
الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون
وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية وهم
المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم **الفضل** صفة **من الله** خبره او الفضل خبره من الله
والعامل فيه معنى الاشارة **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله باعمالهم
الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر
ما يحذر به كالحزم والسلاح **فانفروا** فاخرجوا الى الجهاد **ثبات** جماعات متفرقة جمع ثبة
على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا للمحذوف من عجزه **او انفروا جميعا**
مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات
كلها كيف ما امكن قبل الفوات **وان منكم لمن ليبطئن** الخطاب لعسكر رسول الله صلعم المؤمنين
والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطؤ بمعنى ابطأ وهو لازم او يتركوا
غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقول من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء
اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة **قال** المبطئ
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم **ولئن اصابكم فضل من الله**
كفتح وغنيمة **ليقولن** اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من **كان لم تكن**
بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو **يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما**
للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد
او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن تثبط من المنافقين وضعفة المؤمنين
تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم
قيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى
من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب

الحزم جودة الفكر

لما كانت لفظ الموصول والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى
ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشرونها ويختارونها
ويؤثرونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم **ومن يقاتل في سبيل الله**
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال
وتكذيبا لقولهم قد انعم علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات
القتل بل اعلاء الحق واعزاز الدين **وما لكم** مبتدا وخبر **لا تقاتلون في سبيل الله** حال
والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل **والمستضعفين** عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين
ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة
لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها
على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى
يكون ذلك استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد **الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة
وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه عليه السلام فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب
بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما
اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه
الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله **والذين كفروا يقاتلون**
في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان **فقاتلوا اولياء الشيطان** لما ذكر مقصد
الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله **ان كيد الشيطان كان**
ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه
فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه **الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم** عن القتال **و**
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به **فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم**

يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم با
واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر
وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله او اشد
عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه
هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخ
خشية كقولهم جد جده على يخشون الناس مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا
قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم
فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة
تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او
كلام مبتدا واينما متصل بلا يظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون
والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها
فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله
وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد عليه السلام المدينة نقصت
ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم
يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا
من الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض
هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان
الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت
قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي
قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة
كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع
بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
قصد بالتاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله ولا فرق

وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في
الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت
ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة
اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا
من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه
يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون
في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم
وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم
افلا يتدبرون القرآن يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار
الشيء ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل و
مطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه
الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في
حكمه بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن
او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله عليه السلام
او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم
مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولي
الامر منهم الى رايه وراي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم
يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود
وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك
من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج
النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول و
انزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل
صائب اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل

نساء القرآن
عيسى ؟
من عندك
المبالاة : باردكى
المعرة المكروه
سرايا منهم
او صائب
بعقل
معرض ؟
كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر

او الاتباع فله على النذور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود
روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد
وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله
وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا
يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا
تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا
او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب للخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة
يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء
اذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه
البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل
على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما
مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال
ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال
انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع و
ثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية
السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية
مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام
بالنعمة العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي رض ان الله على كل شيء حسيبا
يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة
الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض
والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او الجمع
عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه
الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم في
المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله في الخروج
البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون

قيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا متعللين باجتواء المدينة والاشتياق
الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما لكم كقولك
فاما في المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم و
الافتراق مستفاد من فئتين وقرا حمزة والكسائي بادغام التاء في الصاد الا انا والله اركسهم بما كسبوا
ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا
من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون
ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى
يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا
عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين
يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون
الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه
الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن
زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور
اخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على
صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم
حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم
قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان
قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن
في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم اسد وغطفان او
بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا
الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم

حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر بالراس مؤمنة محكومة باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كساير المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلعم يامرني ان اورث امراة اشيم من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه سمي العفو به حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلعم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر به شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضه لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود

الدية فدفعوا اليه م

المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت رضه انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلعم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي

الحسنى

لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى
الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها
تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا
وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل
الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم في الجنة
وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم
قيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة
يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم
فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم على انفسهم بترك الهجرة
وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة
توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض
اعتذارا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا الملائكة تكذيبا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاو
لئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفرة وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط
قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة
على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من
موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين من الرجال و
النساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان
ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب
الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا
بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت
فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه
واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر

الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة
ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهذا
ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان
[illegible] ولحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما
الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في
جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله
فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض
سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل
على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة رضه اعتمرت مع رسول الله صلعم
وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة
رحمه الله لقول عمر صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة رضه اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول ماول بانه
كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة
ان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به
نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر
ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب
في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم
بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض لما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه
من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها
لياتم به الائمة بعده وانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم
طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون ويقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين
فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب

١١٣ ٥
نسا القران

ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام
مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة
ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه
العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله
الله بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم يذهبون وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى
فيصلي معهم ركعة ويتم صلوته ثم تقف هذه بازاء العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة
ويتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في
وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوءوا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون
عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر
او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك بأخذ
الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار
بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان
في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم
الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها
واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدود الاوقات لا يجوز
عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يصلي المحارب
حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون بسبب من اظهار الدين واستحقاق الثواب
عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا
تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما
باحوالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
روي ان طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق

فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمس الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له
بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له
ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم
تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلعم ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى
اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين لاجلهم والذب عنهم
خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة
لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم
حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما
منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى
ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا
جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلته عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة
ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او
يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة
ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه
على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها
وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل
بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترفا
احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول
فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم
ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء
فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على

المزاحم

المصدر أي شيئا من الضر وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الأمور أو من أمور الدين والأحكام وكان فضل الله عليك عظيما إذ لا فضل
من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم لقوله وإذ هم نجوى أو من تناجيهم فقوله إلا
من أمر بصدقة أو معروف على حذف مضاف أي إلا نجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى
ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل
فسر هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به أو إصلاح بين الناس
أو إصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما
بنى الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل
أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه وقيد الفعل بأن يكون
لطلب مرضاة الله لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجرا ووصف
الأجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من أعراض الدنيا وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء
ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين
له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها
وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع لأنه تعالى رتب الوعيد
الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما
والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة
ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لأن ترك اتباع سبيل
المؤمنين ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الأفهام إلى مبادي الأحكام
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل
جاء شيخ إلى رسول الله صلعم وقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته
وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله
هربا وإني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وإنما ذكر في
الأولى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى
التبني على الله إن يدعون من دونه إلا إناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان
لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال وما ذكروا [illegible]

فأنثى شديد اللزام ليس له ضرون فإنه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فإذا
كبر سمي حلمة أو لأنها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها
ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثا لأنه ينفعل ولا يفعل
ومن حق المعبود أن يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم
وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع أنثى كرباب وربى وقرئ أنثى على
التوحيد وأنثا على أنه جمع أنيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن
كأسد وأسد وأثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وإن يدعون وإن يعبدون
بعبادتها إلا شيطانا مريدا لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكان طاعته في ذلك
عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بالخير وأصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد و
غلام أمرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لأتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه أي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول
الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه أولا على أن الشرك ضلال في الغاية على سبيل
التعليل بأن ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة
فإن الإله ينبغي أن يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان وهي أفظع الضلال
لثلاثة أوجه الأول أنه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا
بعيدا عن الهدى والثاني أنه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث
أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته
والمفروض المقطوع أي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولأضلنهم ولأمنينهم
الأماني الباطلة كطول الحيوة وأن لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام
يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب وإشارة إلى
تحريم كل ما أحل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
عن وجهه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم و
الوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام
واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الأربع حكاية عما ذكره
الشيطان نطقا وأتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بإيثار ما يدعوه
إليه على ما أمره الله به ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا إذ ضيع رأس ماله

جمع م

عن الحق

واعفائه عن الركوب ؟

ويبدل مكانه من الجنة مكانا من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم
الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص
اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة
التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله
الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما
ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين
واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم
وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل
الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة
ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب
وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رض فمن ينجو مع هذا
يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا
يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره
في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس
مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر
او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على
انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب و
اذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره
عقيب الثواب ~~ثواب المطيع~~ وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا وفي مريم وغافر بضم
الباء وفتح الخاء والباقون بفتح الباء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص

بدل عقاب

نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى
ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة
لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابرهيم
واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد
ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها
وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان
في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في
اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عم بعث الى خليل له بمصر
في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف
وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما
اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
واستيقظ ابرهيم عم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال
بل هو من عند خليلي الله فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار
منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض
وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما
باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة
بن حصن اتى النبي عم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من
يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن و
الافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ
للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين
ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ
وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او
يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من
فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد و
هذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن

فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات و ياكلون مالهن و الا كانوا يعضلونهن
طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال و العطف وليس فيه دليل على جواز تزوج اليتيمة اذ لا يلزم
من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان
على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى
بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة
فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار
اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالـ
في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن اثر الخير في ذلك
وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره
الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا
بان يقلل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا
بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرا الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين
المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرفا او حال او على المصدر
في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح والصلح
خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور
كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر
عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار
الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا يكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها
الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها واحب غيرها وان تحسنوا
وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا
عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في
الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم يقسم بين نسائه فيعدل
ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه
فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله
فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلعم من كانت له امرأتان يميل
مع احدهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن

نساء

فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا و
قرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الاخر بدلا او سلوة
من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه
ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم فالكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او
باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز
ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما
في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن
الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه
غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات
على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك
ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويات باخرين ويوجد
قوما اخرين مكانكم او خلقا اخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة
على كل ما يريد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن
عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل
ضرب رسول الله صلعم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه
كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الآية
وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بالقسط مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله
خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة
بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم
ان يكن المشهود عليه او كل واحد منهم غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا
فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما
صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني

السلو الصبر
وقدرته
ومن المشهود له
بينهما

والقصد لا الله والالوجد وبشهد عليه ان قوى فالله اولى بهم **فلا تتبعوا الهوى ان**
تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل **وان تلووا** السنتكم عن
الحق او حكومة الحق وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي وان تلووا باسكان
وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرا حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى
وليتم اقامة الشهادة **او تعرضوا** عن ادائها **فان الله كان بما تعملون خبيرا**
عليه **يا ايها الذين امنوا** خطاب للمومنين او المنافقين او لمومني اهل الكتاب اذ روي ان
ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما
سواه فنزلت **امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب**
الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او امنوا به بقلوبكم كما
بلسانكم او امنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول
القران والثاني الجنس وقرا نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح النون والهمزة
والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه**
ورسله واليوم الاخر ومن يكفر بشيء من ذلك **فقد ضل ضلالا بعيدا** عن المقصد
بحيث لا يكاد يعود الى طريقه **ان الذين امنوا** يعني اليهود امنوا بموسى **ثم كفروا** حين عبدوا
ثم امنوا بعد عوده اليهم **ثم كفروا** بعيسى **ثم ازدادوا كفرا** بمحمد عليه
تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي **لم يكن الله ليغفر لهم و**
ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ض
بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان
ذلك محذوف تعلق به اللام مثل ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم **بشر المنافقين بان عذا**
تدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة اخرى ثم ازدادوا
بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المومنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم **الذين**
الكافرين اولياء من دون المومنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين
او هم الذين **ايبتغون عندهم العزة** ايتعززون بموالاتهم **فان العزة لله جميعا**
لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولا يؤبه
غيرهم بالاضافة اليهم **وقد نزل عليكم في الكتاب** يعني القران وقرا غير عاصم
والقائم مقام فاعله **ان اذا سمعتم ايات الله** وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم
ويستهزا وهما حالان من الايات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله **فلا تقعدوا**

من العدول

لهم

معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من
استهزاء بها معاندا غير مرجو ويؤيد الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا
رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها و
يستهزا بها **انكم اذا مثلهم** في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار او الكفر ان
رضيتم بذلك ولان الذين يقاعدون الخائضين في القران من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين و
المقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد
مثلهم لانه كالمصدر او بها للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني
كقوله مثل ما انكم تنطقون **الذين يتربصون بكم** ينتظرون وقوع امر بكم وهو
بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او
مبتدا خبره **فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم** مظاهرين لكم فاسهموا
لنا فيما غنمتم **وان كان للكافرين نصيب** من الحرب فانها سجال **قالوا الم نستحوذ**
عليكم قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان
القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل **ونمنعكم من المومنين**
بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم
وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصود على امر دنيوي سريع
الزوال **فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين**
حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم و
الحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان
قبل مضي العدة **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** سبق الكلام فيه اول سورة البقرة
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى
بالفتح وهما جمعا كسلان **يراءون الناس** ليخالوهم مومنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل
كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه **ولا يذكرون الله**
الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل
بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير
التكبير والتسليم **مذبذبين بين ذلك** حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون اي يراءونهم
غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر

عليهم

سبيلا

من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون
قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة
اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين
الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فان
المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم
اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو
وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه
باب التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
وقرا الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك
لن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم
احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا
لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم و
ليتشفى به غيظا او يدفع به ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر
المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال بالايمان والشكر و
نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما
النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما
شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء
الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت
ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله
بكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا
عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفاؤه تشبيب له ولذلك
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم

وهو حث المظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان
الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن
ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا
بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله لا يتم الا بالايمان برسله و
تصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما
قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة
بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا
اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم
يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي
متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم
تصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرا حفص عن عاصم
يؤتيهم بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم
يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان
كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما
كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول فقد سالوا موسى
اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر منه
وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى
ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء
فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها
وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه
الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تاتهم بعد
فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان
يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا
على لسان داود ويحتمل على لسان موسى حين ظلل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء
الجلد م

في السبت

فيه والمسيح به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال
وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان واخذنا منهم ميثاقا
غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخالفوا ونقضوا
ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا
عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله
عليها مثل لا يومنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم
بايات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية
للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها
ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يومنون الا قليلا منهم كعبد الله بن
سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر
ايذانا لتكرار كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما
يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل
انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود
سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء
فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل
وصلب وقيل كان رجلا منافقا فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وقتل وصلب وقيل دخل طيطانوس
اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من
الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل
نبيه المويد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور
وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف
بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه
في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا
وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت
لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم

١١٩

نساء

ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان
يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه
يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر كذاك تخبر عنها العالمات
بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله
اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى
وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليومنن به
فقوله ليومنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود و
النصارى احد الا ليومنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه
ويويد ذلك انه قرئ الا ليومنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض
على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل
من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يومن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور
مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب و
على النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وساير الوجوه
المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم
منهم كعبد الله بن سلام والمومنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يومنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يومنون
الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يومنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا
على الراسخون او الضمير في يومنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنوتيهم والموتون الزكوة رفع لاحد
الوجوه المذكورة والمومنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من
اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنوتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل
الصالح وقرأ حمزة سيوتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء

يقينا

كثيرا

واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان
ابرهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود
زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا
كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا
لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى عليه السلام من
بينهم وقد فضل الله محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما
لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن
ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله
والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما
يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك
عن مفهوم ما قبله فكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا
اليك قال انهم لا يشهدونه ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك
من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله
بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة
ويستأهل لنزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على
الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون
ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر و
التأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتوا
بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى
بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من
الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم
او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق

ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك
على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة
والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا
امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه
الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات و
الارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في
السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه
بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله
ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط
ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله و
رسله ولا تقولوا ثلثة اي الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله ءانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب و
الابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن
التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما
سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق
اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا
وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم
بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت
الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان
عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا
لرسول الله صلعم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه
عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف
على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على
الانبياء وقالوا مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف

اعلى درجة منه حتى تكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد
على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف
المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به
التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى
منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر
مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون
الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق
فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها
من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة فان اثابة مقابليهم
والاحسان اليهم تعذيبهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل
ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين امنوا بالله
واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه
لا لحق واجب يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله
كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام
قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اول السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة او حال
من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب
لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع
البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث
ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها وان
فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على
عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذلك مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة
ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة و
محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنها باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر

والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي
من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان
تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح
العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن
ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله
من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا
عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر
الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف
وما يعقدون بينهم من عقود الامانات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على
المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة
كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد
بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة
الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه
غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف و
الصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم
ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني
مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات
الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها
لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي
وجدية ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص
فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره
ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم
به انه هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا

من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وقد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى اثنين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومخالفة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت فيها التاء للنقل وما اكل السبع اى وما اكل السبع منه فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع لقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع ونصاب وان تستقسموا بالازلام اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل

فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك ماذا احل لهم لتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعل شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما

امسكن عليكم

وهو ما لم يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب
اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال
آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله
او لما امسكن يعني سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محارمه ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه
نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس
في ذلك وان الحق بهم في تقرير الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي
ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك و
المحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن
اجورهن مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن
يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم
الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله اذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب
عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا
قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة
وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت
شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين
وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى
الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك
قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو
كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا
واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي
متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم يكن غاية كقوله

فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن ذي الغاية وجب ادخالها
احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل
وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤسكم و
ذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء
في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الرأس لانه عليه السلام
مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين
نصبه نافع وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل
الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن و
الشعر كقوله عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة
باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا
فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم
تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره
ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر
بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب
فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين
محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن
يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما
هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم
تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير
محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض
او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم
بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا
يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه
ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين

آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا
عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب
ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو أقرب للتقوى
أي العدل أقرب إلى التقوى صرح لهم الأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور و
بين أنه مقتضى الهوى وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله إن الله
خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين
وهذه في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم
مغفرة فإنه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فإن الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم
هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى أن
يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا أيها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي أن المشركين رأوا رسول الله وأصحابه بعسفان قاموا
إلى الظهر معا فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى العصر فرد الله
كيدهم بأن أنزل صلوة الخوف والآية إشارة إلى ذلك وقيل إشارة إلى ما روي أنه عليه السلام أتى قريظة ومعه الخلفاء
الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القسم اجلس
حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بفتكه فعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله
يده فنزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلعم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه
فجاء أعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فأسقطه جبريل من يده وأخذه الرسول وقال من يمنعك
مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنزلت إذ هم قوم أن يبسطوا
إليكم أيديهم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه فكف أيديهم
عنكم منعها أن تمد إليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما
أمروا به روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فإني
ناصركم وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به فأخذ عليهم الميثاق واختار
منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار ونهاهم أن يحدثوا قومهم

فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا و
يوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وقال الله إني معكم بالنصرة لئن أقمتم الصلوة وآتيتم
الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم نصرتموهم وقويتموهم وأصل العزر الذب ومنه التعزير وأقرضتم الله
قرضا حسنا بالإنفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لأكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم
المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد
ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر
معه بخلاف من كفر قبل ذلك إذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم طردناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات
والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي إما مبالغة قاسية أو بمعنى ردية من قولهم درهم قسي إذا كان مغشوشا
وهو أيضا من القسوة فإن المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بإتباع القاف للسين يحرفون
الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه
ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب إذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به
من التوراة أو من اتباع محمد والمعنى أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه أنهم
حرفوها فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية و
تلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة أو فرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة والمعنى
أن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم إلا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين
آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح إن تابوا وآمنوا
أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف إن الله يحب المحسنين تعليل للأمر بالصفح وحث
عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا إنا نصارى
أخذنا ميثاقهم أي أخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا إنا نصارى
قوم أخذنا وإنما قال قالوا إنا نصارى ليدل على أنهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به
فأغرينا فألزمنا من غري بالشيء إذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة بين
فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية أو بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما
كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لأنه للجنس
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم في التوراة
وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني أو عن
كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات

الشك

والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير
لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان
سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور
من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم
هو اقرب الطرق الى الله ومودي اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن
مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا
وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا
لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح
مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من
الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما و
من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى
او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير و
المسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبيون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك
مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم فان من كان
بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما
معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء
وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما و
اليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم
اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان
والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من
الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان
تقولوا وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء
قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة و
[illegible] وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة
واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث

مائدة ١٢٥

اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل
من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى
قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم
فسماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن و
السلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض
بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق
وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكنا
لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا
مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا
ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين
ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من
الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا
الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ
الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او
يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما [illegible] باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار ادخلوا عليهم الباب
فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا
قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله
وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين
لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من
ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة
بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي
قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون و
الرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في
الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها
وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا

بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض
عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان
موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه
ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار
الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا
وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم
روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام
يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه
والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم و
انهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء بغتة غير كالب
ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر
فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان
نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من
بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال
من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف النبأ او حال منه
او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة
او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل
واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده
قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين
في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه
من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة
لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني
اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله
لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما

محظوظا

قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به
ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار
وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك
ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال
اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام ان
ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز
ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته
له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه
دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من
الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند
عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه
كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من
بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة و
الضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة
اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتي كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من
ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل
هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون و
ليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين
المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
سنة او اكثر على ما قيل وتلمذ الغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله
اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك
وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على
بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات
كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل لكل تعليل ومن ابتدائية متعلقة
بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكأنما قتل الناس جميعا من

حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع
سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ عن بعض اسباب الهلكة فكانما
فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن
التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم
بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية
وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد
الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل
محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية
وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة والمصدر لان
سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي من غير صلب قصاصا ان افردوا
او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب
حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من
القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل
انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة
ولهم في الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم
استثناء مخصوص بما هو حق الله ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا
فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد
القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه
العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي وسل الى كذا اذا تقرب اليه
وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة
لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض
من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب
يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض

وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله عوان بين ذلك
او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم
العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم
ويخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي
حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق
والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة
اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ قدر ربع دينار او ما يساويه
لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت
الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء
بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما والله عزيز حكيم فمن تاب
من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها
فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقط
بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد
يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما
سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا
لا بامنا ويحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب
خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره
اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي
قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم
اخرين لم ياتوك اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى
على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام

رقة

اولئك عادوا

بالكذب لانه سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه
اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله و تغييره وصفه واما معنى بحمله على
غير المراد واجرايه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير
فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفونه وكذلك يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه
بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة
وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلعم
فقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن
صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم
الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من
احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلعم بالزانيين
فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا
فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو
كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة
عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين
والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته
اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في المواضع
بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاوك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلعم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو
تحاكم الكتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان
او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والاية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة
يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب
المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم
الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم
وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا

فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم
يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف
على يحكمونك داخل في حكم التعجب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا
وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي الى الحق ونور
يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا
شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت
على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء و
اقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان
النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم
عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم ان يحفظوا كتابه
من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء
لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون
نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتي
ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له
فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله
الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وفسقهم بالخروج عنه وظلمهم بالحكم على
خلافه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن
الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي
على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين
بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان
المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف
والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرا نافع الاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع
والجروح قصاص اي ذات قصاص وقراءة الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به اي بالقصاص فمن

عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه
وقرئ كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن
لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم
اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى
بن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه
الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه
من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا
على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة حمزة و
على الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك
بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او
عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة
ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام
التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من
الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا
على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه
وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اي
ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى
او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريق
الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا
في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء
محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
فيما آتيكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان
اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف
فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف

على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون
جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اي يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم
مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلعم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها
على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونحوه
فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية
التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلعم ان يحكم بما كان يحكم به
اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف
حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية
يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي
هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا
احسن حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا
عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم
متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم ومن يتولهم
منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام
لا تتراءى ناراهما او لان الموالي لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين
ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض
يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان
تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون
الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلعم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ
الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية
موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده
يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي

اليك

قول لبيد: او يرتبط بعض النفوس حمامها

وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه

تبغون خ

الزمان

هولاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما يشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم والكسائي وحمزة على انه كلام مبتدأ ويويده قراءة ابن كثير وابن عامر ونافع مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فما ذا يقول المومنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح وبقول المومنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهدا بايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قراءة على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلعم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبا باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلعم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتل الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية

فما ذا يقول

الله

الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المومنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يوتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمومنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيوتون اي يوتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضه حين ساله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور المستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هولاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هولاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم

اولياء

صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في يحبونهم
ولا يخافون لومة لائم عطف على
يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين
المجاهدة في سبيل الله صح

ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين **واتقوا الله** بترك المناهي **ان كنتم مؤمنين** لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده **واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا** اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله **ذلك بانهم قوم لا يعقلون** فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه **قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا** هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة **الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل** الايمان بالكتب المنزلة كلها **وان اكثركم فاسقون** عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا المخالفة حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سالوا رسول الله صلعم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم **قل هل انبئكم بشر من ذلك** اي من ذلك المنقوم **مثوبة عند الله** جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر **من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير** بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا عابد الطاغوت او عُبَد الطاغوت او عُبُد الطاغوت على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذف التاء للاضافة

عطف على القردة ومن قرا وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعه في معصية الله وقرا حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء **اولئك** الملعونون **شر مكانا** جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا **واضل عن سواء السبيل** قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال **واذا جاؤكم قالوا امنا** نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلعم او في عامة المنافقين **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** اي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال **والله اعلم بما كانوا يكتمون** اي من الكفر وفيه وعيد لهم **وترى كثيرا منهم** اي من اليهود والمنافقين **يسارعون في الاثم** اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم **والعدوان** الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم **واكلهم السحت** اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة **لبئس ما كانوا يعملون** لبئس شيئا عملوه **لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت** تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض **لبئس ما كانوا يصنعون** ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروي وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم **وقالت اليهود يد الله مغلولة** اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء **غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا** دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل ولكن سب الله دابره **بل يداه مبسوطتان** ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا

بوعده ووعيده

الله

وقد دخلوا

الكفر

اي

النفس

قالوا امنا نقوم

والآخرة او علما بما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من الايدي اذ لا ضمير لها فيه ولا من ضميرها لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك حين كف الله على اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه السلام واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا** اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء **والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة** فلا تتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم **كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله** كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا **ويسعون في الارض فسادا** اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم **والله لا يحب المفسدين** فلا يجازيهم الا شرا **ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا** ما عددنا من معاصيهم **لكفرنا عنهم سيئاتهم** التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها **ولادخلناهم جنات النعيم** ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم **ولو انهم اقاموا التورية والانجيل** باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما **وما انزل اليهم من ربهم** يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين **منهم امة مقتصدة** عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد عليه السلام وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته **وكثير منهم ساء ما يعملون** اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه او الافراط في العداوة **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها **وان لم تفعل** وان لم تبلغ جميعه كما امرتك **فما بلغت**

رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقص به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرا نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء **والله يعصمك من الناس** عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي عليه السلام بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلعم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية توجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه **قل يا اهل الكتاب لستم على شيء** اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل **حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** ومن اقامتها الايمان بمحمد عليه السلام والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين** فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم **ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى** سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو **من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا** في محل الرفع بالابتداء وخبره **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا **لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا** ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم **كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم** بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف

فا خا

يتطابق

وفريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف
اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جي بقتلوه موضع قتلوا
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا
ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا الا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم
بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع
على ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة
العلم لتمكنه في قلوبهم وان او لا بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين والدلايل
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم ثم تابوا فتاب
ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو
قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني
البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة خبره وهو ضعيف لان تقديم
الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب
مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال
فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه
النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار
فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من
كلام عيسى وان يكون من كلام الله نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم به
ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو
حكاية عما قال النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ
جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم
ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم
اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم
للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا
يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور

رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح بن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله
بالآيات فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان
خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء
اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار
الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما
في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم
عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات
ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا
للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما
ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من
هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه
اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا
فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له
الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم
قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عليه السلام في شريعتهم واضلوا كثيرا
ممن تابعهم على بدعتهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه
لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اي لعنهم الله
في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب
المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او
عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا
يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون
الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم

عنه ح

لبئس شيا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
هو المخصوص بالذم والمعنى الموجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص
اي لبئس شيا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي موج
يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء
الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا
لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن
التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة
بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع
على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى
ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء
او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية
لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا
يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه
حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام
انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي هو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في
وجواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شي حصل
مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة
توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها
مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده
جنات تجري من تحتها الانهار وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر خالدين فيها
او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي
اليه رسول الله صلعم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان

القسيسين فامر جعفرا ان يقرا عليهم القرآن فقرا عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا
بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلعم فقرا
عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم عطف التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
ذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى
ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما
احل الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به
ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم
داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلعم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا
واجتمعوا في بيت عثمن بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صايمين قايمين وان لا يناموا على الفرش
ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا
فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء
فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما
رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة يكون
بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف
وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فايدة زايدة واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم وهو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول
الانسان لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رضه وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب
ابو حنيفة رضه وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم
به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم
من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره
على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما
تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند ابي حنيفة

ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون
او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وكاسوتهم
او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف
محل الرفع وتقديره او طعامهم كاسوتهم **او تحرير رقبة** او اعتاق انسان وشرط الشافعي رض
فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف **فمن لم يجد**
اي واحدا منها **فصيام ثلثة ايام** فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رض فيه التتابع
فقرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يذكر سنة **ذلك** اي المذكور
كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم **واحفظوا ايمانكم** بان تضنوا بها ولا تبذلوها
لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم **كذلك** اي مثل ذلك
البيان **يبين الله لكم اياته** اعلام الشريعة **لعلكم تشكرون** نعمة التعليم او نعمة الواجب
شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه **يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر**
والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة **والازلام** سبق تفسيرها في اول السورة **رجس** قذر
تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف المحذوف كانه قال
انما تعاطي الخمر والميسر **من عمل الشيطان** لانه مسبب من تسويله وتزيينه **فاجتنبوه** الضمير
للرجس او لما ذكر او للتعاطي **لعلكم تفلحون** لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه اكد تحريم الخمر
والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل
الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه
الفلاح ثم قرر ذلك بان بين فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم **انما يريد الشيطان**
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود
بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة كقوله عليه السلام شارب الخمر
كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من
حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من
انواع الصوارف وقال **فهل انتم منتهون** ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد
انقطعت **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** فيما امرا به **واحذروا** عما نهيا عنه او مخالفتهما **فان توليتم**
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه
البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم **ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح**

فيما طعموا مما لم يحرم عليهم بقوله **اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات**
اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة **ثم اتقوا** ما حرم عليهم بعد كالخمر
وامنوا بتحريمه **ثم اتقوا** اي استمروا وثبتوا على يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت
ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث
استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله و
لذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار
المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس
عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة **والله يحب المحسنين** فلا يؤاخذهم بشيء وفيه
ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا **يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من**
الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت
الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون
والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل
الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه **ليعلم الله من يخافه**
بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه
وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم **فمن اعتدى بعد ذلك**
بعد ذلك الابتلاء بالصيد **فله عذاب اليم** فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل
ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه **يا ايها الذين**
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر
القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده
قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية
الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم
الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره
ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد
فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه
ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت **فجزاء مثل ما قتل من النعم** برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين

اتقاء المعاصي و احسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين كانوا وهم

يعني فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما
بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرأ الباقون
اضافة المصدر الى المفعول او اقحام كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل — مثل م
على فليجب جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة
عند مالك والشافعي رض والقيمة عند ابي حنيفة رض وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت
هدي تخير بين ان يهدي ما قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او
صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ يخير بين الاطعام والصوم
بالاول او في يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا لتخصصه بالصفة
حينئذ اذا اضعفه او وصفته ورفعته بخبر مقدار المثل وكان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام
حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله بالغ الكعبة
وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة
رض يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر
طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة
طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي رض او ان يكفر باطعام مساكين
قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل
بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره
متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الاطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته لهتكه حرمة الاحرام
او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف
من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او فيه ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه — هذه المرة م
فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز
ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو
لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رض لا يحل منه الا السمك
وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم نصب على الغرض وللسيارة — طعامه اكله م
اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه
الاول يحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم — على المحرم م

ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ من دام يدام بكسر الدال
واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت
كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس
سببا لانتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف و
يربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما
على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه لما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر
الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه
الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرانه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر
من حفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات والارض
فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال
علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد
العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها
او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي
الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون و
ما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث
العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب
لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر
وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم
الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلعم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان
تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم و
ما لا يعنيهم وأشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت
لامه جمع لشيء على ان اصله شيء كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت و
ابيات فيرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ
روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلعم
حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت واستيناف لبيان

ووجه

حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الاشخاص والاعمال والاموال وحثها رغب في صالح العمل وحلال المال م

عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ردّ وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة وما عطف عليها ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر والناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموها واحفظوا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا

شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على قولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان على انه اعرابه فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف

لا نشتري ح

استحق ح

الاولين قرئ

في التقليد وان لا سند لهم سواه ح

آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا
يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميم الداري وعدي بن
بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى
اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت يا
ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلعم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد
الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلعم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهدين
ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة و
اليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي
القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له
وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر
يوم جمعهم او باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر
او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا
لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلمه
مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا
بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف
بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين
اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع
هو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد
ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار
اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبرئيل

كلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ونطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم
الناس في المهد وكهلا اي تكلمهم في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة
سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم به استدل على انه
سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية و
الانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون
طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى
باذني سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد
والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ
جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر
فالاشارة الى عيسى عم واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة
رسلي ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا
عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع
قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق
واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا
على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى
اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل
تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد
اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة
مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته
وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد
عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا
بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا
في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين
نستشهد بها او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن
مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة

بكمالها اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها
عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن
على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا
وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية منك عطف على عيدا ومنك صفة لها اي
كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت
خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني
منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزّلها بالتشديد فمن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه احدا من العالمين
الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر
اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى
عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام
فتوضأ فصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام
الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم
من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت
تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء
الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض
ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب
الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بشرط [...]
وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن [...]
المائدة عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا
الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عم ان حصلتم الايمان

القوم حتى تمكنوا من الاطلاع عليها فلم يغفلوا عن السؤال ولحوا فيه فسال الاجلال اقترحهم
قوله تعالى انزالها سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من
مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ
الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة
فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل
الى عبادة الله تعالى وكأنه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اي انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول
قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله
في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين
باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه
بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به
او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول
بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون
مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم
والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم الا ما امرتني به
ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا
ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله
اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع
من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال
الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك
ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل في ملكه وفيه
تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا
يثيب

ولا تعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل
وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع
التعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع
بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى
الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل
وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النفع
ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك
السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على
كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء
وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل اعلاما بانهم في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول
عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق
متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات
بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا سورة الانعام مكية غير ست آيات
او ثلث من قوله تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد
ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم
يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة
الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات
والنور انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق
فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة
بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها
والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال
متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج
بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد
على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم
تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر
او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد
عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون
عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى وان
آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا
واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت
والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت
وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى
عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا
يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه
ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى
آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان
اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث و
الامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره
في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير
كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون من خير وشر
فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب
اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات
القرآن ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب احوال
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات
كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم
الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما

الانعام

كانوا به يستهزءون اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عن الذى كانوا يستهزءونه به حيث اهلكوا الاجلة او فينزل بهم وقت استهزائهم
نزول العذاب بهم فى الدنيا او فى الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان والقرن مدة كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كى يعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا
اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او فائق فى الارض فانظروا ان السير ثم لاجل النظر ولا كذلك هاهنا قيل معناه اباحة
العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم فى الارض جعلنا لهم مكانا والسير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين قل لمن ما فى السموات
فيها واعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين
لكم فى السعة وطول المقام يا اهل مكة او لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة
والاسباب وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فعاشوا فى الخصب والريف والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم
بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن عنهم ذلك شيئا وانشأنا القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور
من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيمة والى بمعنى فى وقيل بدل
مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع
مكتوبا فى ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم
ان يقولوا انما سكرت (غشيت) ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز موضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم
فانه يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل
تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله لولا انزل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر
اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع والامتناع عن الايمان وله ما سكن فى الليل والنهار من السكنى وتعديته
اقترحوه والخلاف فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فانه سنة الله كقوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا او المعنى ما اشتمل عليه او من السكون اى ما
جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه يسكن فيهما او يتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فلا يخفى عليه شيء وكونه ان يكون وعبيد المشركين على اقوالهم وب انعام قل اغير
فهو جواب اقتراح ثان فانهم يقولون تارة لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء الله لانزل ملائكة الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة و
لا انزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
جبريل فى صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها
الا افراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع
اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة
بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
عما يلقى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاطر السموات والارض منزه عن الحاجة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى

والذكر ح

قدم

معلوم ح

اختصا ن ح

استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى لقوله يقبض ويبسط قل انى امرت
ان اكون اول من اسلم لان النبى سابق امته فى الدين ولا تكونن من المشركين
وقيل لى ولا تكونن من المشركين ويجوز عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف
عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرا حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم
يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف
المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة
وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا
هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شىء قدير فكان قادرا على حفظه
وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره وتدبيره الخبير
بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شىء اكبر شهادة نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك
اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول
والشىء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم البقرة
شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه اذا كان
الشهيد كان اكبر شهادة واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى
بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل
مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن
بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن
بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
تقرير مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد بل
ان لا اله الا هو واننى برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفونه
[illegible] بحليته المذكورة فى التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب
الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها

او وهم
سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى
الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم
نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا
اين شركاؤكم اى الهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرا يعقوب يحشر ويقول
بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من
الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا بها
الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها
من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به
الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وعاصم
برواية ابى بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون
بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع
من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا
مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق انظر كيف كذبوا على انفسهم بنفى الشرك
عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد
ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا
تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول قال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول
الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشىء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا
يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول البقرة وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها
لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات
الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول
الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين
غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر
ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار

جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن او
ولا يابه وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون
به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون
ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف
اي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون
مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
بالتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين
استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي لا اعود تركتني او لم تتركني
او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى وقوله انهم لكاذبون راجع الى ما
تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو
اجرائها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل
بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى
انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا
ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم
لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حيوتنا الدنيا
الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس
للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب
والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار موكد باليمين
لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم
او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب
المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه من الثواب حتى اذا جاءتهم الساعة غاية
لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها
نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا فيها في الحيوة
الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام

ساء ما يزرون بئس شيا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
اي وما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون
لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال
المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير
وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به
او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة
الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن وقرئ ليحزنك
من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا يكذبونك من
اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
ولكنهم يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع المضمر للدلالة على انهم ظلموا
بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل
كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد
كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله
لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم و
ايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا
مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الاية
ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر
عظم وشق عليك اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض
او سلما في السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او
مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما
ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر
ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته
[illegible] عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن
لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن

مواطن يجر

العبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين
يفهمون ويتأملون بقولهم او القى السمع وهو شهيد وهولاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى
يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم ايمانهم ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا
انزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات
لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية
الى الايمان كنتق الجبل وانه ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله
على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن
ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير
بجناحيه في الهواء وصفه بهما لقطع المجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل
الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته
وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم ليحمل على المعنى ما فرطنا
في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل
امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا ومجملا
ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب
وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض
كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا
صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به
وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة
ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشإ الله يضلله من يشإ الله اضلاله يضلله وهو دليل
على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم
استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك
كأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل
أرأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع
أرأيتكم وأرأيت وأرأيتم وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي
اصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق ان اتاكم عذاب الله
كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت
ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه بل اياه تدعون

فاخا

يشاء

اي ربهم

تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه
اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة وتنسون ما تشركون
وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه
من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اي قبلك ومن زائدة فاخذناهم اي فكذبوا
وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا
تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام الداعي ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع
لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من
البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة
عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة
او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن
ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا بما اوتوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم
يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من
دبره دبرا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة
من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل أرأيتم
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم
من اله غير الله يأتيكم به اي بذاك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب و
الترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون
عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله
بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة
او جهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ
وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمؤمنين بالجنة ومنذرين
للكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم
فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين

وتعذيب م

كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول
اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته
او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول
ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع
الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات
البشرية ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى و
البصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية او الملكية و
مدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق و
او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان
او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر
على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم
وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء
المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد
قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى تنظر الى ما يصيرون
فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل
صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه
حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر
ورتب عليه النهي اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله
اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم
لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم
عليهم ابتغاؤهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم
وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطردهم

المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جوابا للنهي ويجوز
عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك
الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا
هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا اي اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء
وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير
كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا
اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه ومن لا يقع منه
فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع
الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأهم بالتسليم او يبلغ سلام الله تعالى
اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله عز وجل وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون
لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله تعالى
بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا
ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف
بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة
في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه
او ملتبسا بفعل الجهل فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب
من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور
رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فعله غفرانه
وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات ايات القرآن في صفة المطيعين
والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى
ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه
يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت
وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون
من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها الهة اي تسمونها قل لا اتبع

اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم و
لمبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت
اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم
وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها
من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به حيث اشركتم به غيره
والضمير لربي او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة
او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع
ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم
المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين
الفاصلين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم
لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك
كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب
خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع
مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها
لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته و
تعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر
عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما
تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين
بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال
ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا على الابتداء والخبر
الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي
من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله
قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا
للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا

ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب
للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع
على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب
الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم
بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله
تكتب عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده
واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم
الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة والكسائي توفاه بالالف ممالة وهم لا
يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم
الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من
ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول
وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق
في البحر وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين
ومسرين او اعلانا واسرارا وقرا ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية بالكسر لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون
لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون
وهشام وخففها الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون
الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان
من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة
لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل
بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون

وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل
لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ
لكل نبإ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف
تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في
آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم من عندهم حتى
يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك
الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضع المضمر
دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم
من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم
عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد
في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء وكراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير
للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن
كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا
دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة
الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم
الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم
ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر
بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى
بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال
والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان
تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء
وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا
يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب

العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر
في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله
ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع
الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين
كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف
ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذي استهوته او على المصدر
اى ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق
له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا
قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا
لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر
اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه
عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم
وان اقيموا روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت
وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا
للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون
قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم
الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم
منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله
الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون
والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات
واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية
واذ قال ابراهيم لابيه آزر عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل
هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج

ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر
والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد ازر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا
وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ءازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو
اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اريك وقومك
في ضلال مبين عن الحق ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير
نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره
دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها النبوة خ
وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اي
وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي
تفصيل وبيان لذلك وقيل ابرهيم عطف على قال وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال
وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل
الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه
النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا
احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان
والحدوث وينافي الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي
فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز
نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها
لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة الرب عن شبهة التانيث
هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء
مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث ومخصص يخصصها بما تختص به
ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج
بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه

في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال
أتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وقد هداني
الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها
ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم
اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي
احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر
ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك
للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به
عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق
بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه
ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم
عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم
يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به
وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم
مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها
على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي اتيناها ابرهيم حجة على قومه
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك
حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث
انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل
لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين
في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان
وايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك
نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده



والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد
البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من
اسباط هرون اخ موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان
بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي
والليسع وعلى القرائتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد
مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران بن اخي
ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن
اباءهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم وهدينا هؤلاء وبعض
اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف
على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك
هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما
كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة وفصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة
فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما
ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب
النبي عليه الصلوة والسلام او كل من امن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله
يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه
التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا
فليس فيه دليل على انه عليه الصلوة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة
كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذفها في الوصل خاصة حمزة والكسائي
واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام قل
لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلي من النبيين
وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى
للعالمين تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته
في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا
الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة

شدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك
مبالغة في انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقرأ الجمهور تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو
حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية وذمهم على
تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وروي
ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية على
موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية
لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما
في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن امن من قريش قل الله
اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على
انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في ابطالهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة
يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل
يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك
كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر
اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم
القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر
عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون
بالاخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما
ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما
كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي
سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله

وانت الحبر السمين

يلعبون او من هم الثاني

ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال
عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي
اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا
لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي
ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا
ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون
لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها
من ايدينا اليوم يريدون وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية تجزون
عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون
لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك
له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها
ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم
انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها
في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين
ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل في الفصل والوصل وقيل هو
الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه
واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون
انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر
وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي من الميت يريد به ما ينمو من الحيوان
والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي

فرادى جمع فرد

ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج
الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة
فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة
الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل
مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب
على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا
اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به
فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق
بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون
والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات و
يكونان علم الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب
كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز
الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما
وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات
على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر
ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض
او موضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع
مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون
لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة
وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء
فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات فاخرجنا منه خضرا
شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه
من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من

النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر
قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان
جمع صنو وقرئ بضم القاف كذيب وذوبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع
دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها
وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة
هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون او من الجميع اي بعض ذلك
متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل
واحد من ذلك وقرا حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب
وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى
نضيجه ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع
كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة
من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه
حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من
اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا
الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع
الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان
خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء
الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة
للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من
يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي و
جعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرا نافع
بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اي وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير
ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير

فيها وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء
وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها
الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو
بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال
على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارض وهي مع انها من جنس ما يوصف
بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من
الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا
كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا
كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا
فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل
شيء وكيل وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم
ورقيب على اعمالكم فيجازيكم لا تدركه الابصار لا تحيط به جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال
للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك
مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص
فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار
يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون
من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف
مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم
البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها
فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها
وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم
عليها وهذا الكلام ورد على لسان الرسول عليه السلام وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من
حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة
والتعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر
ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ

عنها

درست

دُرُست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا عليه السلام وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة
ودرس اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة
راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود والتصريف والضمير للآيات باعتبار
المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به
اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم
ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله
توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب
الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها
من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به
وقرأ يعقوب عُدُوّا يقال عدا فلان عَدْوا وعُدُوّا وعَداء وعُدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم
فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي
الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا
وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله
لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه
واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد
فيه التحكم على الرسول عليه السلام في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها
بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي ان الآية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى
انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن
عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي

الانعام

تاكيد نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها
ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعا عليها كما كان عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها
ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ
نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم
يؤمنوا به اول مرة اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم
متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على
البناء للمفعول واسناده الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا
او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او
جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن
عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء
بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل
منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل
آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع
ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل
على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل
الانس و
من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي
بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض
وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له
او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة
الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا
دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون من كفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين
لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا
لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد — الصغوة
الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول

القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل
وغير مفعول لابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير
العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل
بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز
على ان القرآن حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم
ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمونه ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى
تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا
تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون
من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب الامة وقيل الخطاب
لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات
ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد
يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة
على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب
بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن
وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض
اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله
عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن
وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل
العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل
عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال
عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب
الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ من يضل اي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين
من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه

الاحرم

الانعام

التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه
لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي
استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض
لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله
حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للفاعل الا ما اضطررتم
اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام و
تحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير
تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال
الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب
وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا
يقترفون يكسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية
عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد رحمه الله مثله وقال مالك والشافعي رحمهما الله بخلافه
لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان
واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به
والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون
ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم
وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام انكم
لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف
الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها
في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله
صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا
من الهاء في مثله وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين
ما كانوا يعملون الآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل و
كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة
اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا في صيد نا و

على البناء للمفعول
ونافع ويعقوب
وحفص حرم
على البناء ؟

مفعولاه اكابر مجرميها على تقدم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر مجرميها بدلا ويجوز
ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد و
المطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك و
اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث
يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان
الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا
صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله و
عذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله
ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام
فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما
يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينفسح
له وينفتح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن
قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر
اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره
بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع
منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه
واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك
اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن
او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته
وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون

ابو بكر [illegible]
للموت
جاء به القرآن
الطريق الذي ارتضاه

١٥٤

ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم
باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام في ضمانه او ذخيرة
لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب
باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن
يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس
اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من
الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز
وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى
وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات ثوائكم خالدين فيها
حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله
الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه
قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او
اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر و
المعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكنه لما جمعوا
مع الثقلين في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم
لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني
يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب
العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا
عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد
تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك

دار الله اضافه للتعظيم او دار السلامة من المكاره او دار السلام فيها دار سلام عند ربهم
انعام
ذكر من اللؤلؤ والمرجان



أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون تعليل للحكم وأن
مصدرية أو مخففة من الثقيلة أي الأمر ذلك لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى
بسبب ظلم فعلوه أو ملتبسين بظلم أو ظالماً وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدل من ذلك ولكل
من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من أعمالهم أو من جزائها أو من أجلها وما ربك بغافل عما
يعملون فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب
على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم
على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس
لما بعده وهو قوله إن يشأ يذهبكم أي ما به حاجة إليكم إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين أي قرناً بعد قرن لكنه
أبقاكم ترحماً عليكم إن ما توعدون من البعث وأحواله لآت لكائن لا محالة وما أنتم بمعجزين
طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال
مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام و
مقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم
وعداوتكم إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في
الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي إليه وتسجيل بأن المهدد لا
يأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار إن جعل من استفهامية بمعنى أينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار
فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وإن جعلت خبرية فنصب بتعلمون أي فسوف تعرفون الذي
تكون له العاقبة وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب وتنبيه على وثوق المنذر بأنه
محق وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي القصص يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي إنه لا
يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة وجعلوا
لله مما ذرأ أي خلق من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله
فهو يصل إلى شركائهم روي أنهم كانوا يعينون شيئاً من حرث ونتاج لله ويصرفونه
إلى الضيفان والمساكين وشيئاً منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم إن
رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حباً لآلهتهم
تركوه لها حباً لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر

على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم
يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضاً كالود
ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل
أولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن
عامر على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه
مفصولاً بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج
القلوص أبي مزاده وقرئ على البناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم بإضمار فعل
دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم
ما كانوا عليه من دين إسماعيل أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين
لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم أو ما
يفترونه من الإفك وقالوا هذه إشارة إلى ما جعل لآلهتهم أنعام وحرث حجر حرام
فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى وقرئ حُجُر بالضم وحرج
أي مضيق لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وأنعام
حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على
المصدر لأن ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال أو المفعول
والجار متعلق به أو بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه أو بدله وقالوا ما
في بطون هذه الأنعام يعنون أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا
حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حياً لقوله وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور
والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر
ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم أو التاء فيه للمبالغة كما في راوية
أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لأنها لا تتقدم على العامل المعنوي
أو على صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه بدل
من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حياً والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الذكر
سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم
الكذب

انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب
الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد
بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم ويجوز نصبه على الحال
والمصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة
قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا جنات معروشات
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما
غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله
ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع واخل
في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن
كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادها
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد اذا اثمر وان لم يدرك ولم
يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده
يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية و
قيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يوخر عن وقت الاداء
ليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء
وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي
ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا
تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما
او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال
لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية
وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح
الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين
ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم

اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى
نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ام كنتم شهداء بل اكنتم شاهدين
حاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق
لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل
الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي اي
في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما
محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير و
حمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرا ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او
دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في
العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة
او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به
صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له
من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته
الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير
هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر ولا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد و
لا على الحل الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل
والسباع والطيور وقيل كل ذي ظفر اي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن
الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط
الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء
كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم
هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
في الاخبار والوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على
التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل
او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه
على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا

اخبار عن مستقبل و وقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا و
لا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن و
آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح
بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة و يؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من
قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل
وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا
ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل
فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو
اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من
لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة
بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم
الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن تقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في
الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون
بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي
واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب
وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لان
اقرأ اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر
ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل
فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول

ذكره

الانعام

احسانا اي احسنوا بهما احسانا و وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة
على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق
من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله
واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن
بدل منها وهو كقوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم
تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع
شدة كنعمة وانعم او شد كصر وآصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب
الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم
فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد
الله اوفوا يعني ما عهد عليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به وقرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء و
الباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها
في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي ان بالكسر على الاستئناف و
ابن عامر ويعقوب ان بالفتح والتخفيف والباقون بالفتح مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه
وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك
ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد و
مقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله
الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال و
التفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت
في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما
للكرامة والنعمة على الذي احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على
الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة
على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي
هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو

عطف عليها ما ونصبها يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
يعني بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب
انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقية المشهورة
حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة
كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا
عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة
من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله
بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف عنها اعرض وصد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون
اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين
الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او يأتي ربك اي امره
بالعذاب او كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني
اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة
الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من
مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة
الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا
وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد
على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن
لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون
وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل
ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه

افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا اي باينوا
وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او
من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف
انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر
بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص
الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي
والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهداني صراطا لقوله
ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من
ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل
لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين
عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي
وما انا عليه في حيوتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات
المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي ومماتي
باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك
فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام
كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادتي وهو جواب
عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار
والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا
عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى
جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم

خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب خاص للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا أرينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بفلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب مع النبي صلعم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب ولما حذف واو الحال

استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بالقيلولة مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب وعلى الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او باقوالهم وافعالهم والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي ... وتعدد الوزن فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبونها بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع اني خير منه اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر

وما كنا غائبين

يعلمون ما خفي علينا شيء من احوالهم

والوزن يومئذ الحق

الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل

السوي فمن ثقلت موازينه حسناته

او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف

قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع اني خير منه

وقال بالحسن العقليين ولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه
وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل
كما أشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة
كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه
ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل
الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين و
الشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك
فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق
باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك
من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن
تكبر وضعه قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني او
لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء
مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه
وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان
امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او
حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان
اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع السابلة صراطك المستقيم
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب
وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل
والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه
ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان
يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف
الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار

على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما
قاله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل
سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذءوما مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم
اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد
جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج
ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين
فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس
لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام
للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها
بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع
ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من
الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية
مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه
انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات
الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول و
قيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من
الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال
الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او
ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها آخذين في
الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف

في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نورا أو حلة أو ظفرا وطفقا
يخصفان أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة
قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصّفان من خصّف
وأصله يختصفان وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن
الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل
على أن مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج من
الجنة وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على أن الصغائر معاقب
عليها إن لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا إنما قالا ذلك على
عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا
الخطاب لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولإبليس كرر الأمر له تبعا ليعلم أنهم قرناء أبدا وأخبر عما قال لهم
متفرقا بعضكم لبعض عدو في موقع الحال أي متعادين ولكم في الأرض مستقر استقرار
أو موضع استقرار ومتاع وتمتع إلى حين إلى أن تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان ومنها تخرجون وفي الزخرف كذلك
تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية
وأسباب نازلة ونظيره قوله وأنزل لكم من الأنعام وقوله وأنزلنا الحديد يواري سوآتكم
التي قصد الشيطان إبداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة
ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف
العورة أول سوء أصاب الإنسان من الشيطان وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم وريشا
لباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل إذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش
ولباس التقوى خشية الله وقيل الإيمان وقيل السمت الحسن وقيل الدرع ورفعه بالابتداء وخبره
ذلك خير أو خبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
لباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك أي إنزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون
فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
لا يمتحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم كما أخرج أبويكم من الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها
والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه للتسبب إنه يراكم هو وقبيله من
حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم إيانا من جانب

لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين
لا يؤمنون بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم
على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية وإذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية
في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها
اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله تعالى فأعرض عن الأول لظهور فساده ورد
الثاني بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن عادته جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم
الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه
الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمنع
التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار يتضمن
النهي عن الافتراء على الله قل أمر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافي عن
طرفي الإفراط والتفريط وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين
إلى غيرها أو أقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو في أي
مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم وادعوه مخلصين له الدين
أي الطاعة فإن إليه مصيركم كما بدأكم كما أنشأكم ابتداء تعودون بإعادته فيجازيكم على أعمالكم و
إنما شبه الإعادة بالإبداء تقريرا لإمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل كما
بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بأن وفقهم
للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أي
وخذل فريقا إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالتهم
ويحسبون أنهم مهتدون يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق
أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف
أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة
وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي أن بني عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام
أو بإفراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف
ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب
المسرفين أي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي أخرج لعباده

تمام

من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات
من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع
التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا
والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرا نافع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي
كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه
وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص
وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه
برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا
ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرض
اجلهم او حان وقته لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا
يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني ادم اما ياتينكم
رسل منكم يقصون عليكم اياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز
غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن
اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا و
استكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى
واصلح منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم
يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب
اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل
وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله
اين الالهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا
ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين
فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم
اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار
متعلق بادخلوا كلما دخلت امة في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا

فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اي دخولا او منزلة وهم
الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا
سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا
واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت
ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما
تفتح لاعمال المؤمنين ولارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في لا تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها
وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على
البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو
مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ
الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة
وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل
عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي
الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه
الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض
بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس
ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون
بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم
الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب

والجمل كالنغر
ابهام
بسعة بدل

لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا
في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد
او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها
بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في
المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال
ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة
قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور
بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن
عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول
او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم
مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني
والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان كالحائط والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما
حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر
احدهما الى الاخر وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب
بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما
يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون
في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض
الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه
وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول
ومن اصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون

عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة تحتقرهم
في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما
قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او
بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا
الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة
ليلايم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة و
التصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن
ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار
كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون
وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد
والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه عالم بعلم
او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا
ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول
الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين
انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ
بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون
لهم شفيع اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام
الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم
ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة
ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة

ضعفاً
على البناء للمفعول
ما نهام
في اليوم ؟

على ايجاده، وفيه دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش
استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به
ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليلُ النهارَ بنصب الليل ورفع النهار
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه
حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف
او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى فانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق
العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع
سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة
ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس
على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي
والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع
وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره
نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في
الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب
المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام
وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته
تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة

معنى ح

الكهبات ... والنهوت

وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي
بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره
وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا
جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح
النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان وعاصم بشرا وتخفيف بشرا جمع بشير وقد قرئ به وبشرى بفتح الباء مصدر بشره
بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير
السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه
من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه
اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ
ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه
عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره
فهي للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة
يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه
اوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا
بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله
فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم
يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد
لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس
اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده
ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض و
النصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي

على هذا

باهانها

بفتح الكاف ح

نذير ح

الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان فقال الملأ من قومه اي
الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنريك في ضلال ذهاب عن الحق مبين بين
قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به
ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال
ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم
واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان
كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة
اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته
وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف
على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على
لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منها بسبب الانذار
لعلكم ترحمون بالتقوى وفايدة حرف الترجي للتنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل
وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه
وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة
ممن امن به في الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين خفف
وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف
بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن
عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم
لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف
به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله
قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من امن منهم ... فقوم هود كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال
كمرثد بن سعد انا لنريك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا
لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل

منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض
عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه
على انهم عرفوه بالامرين وقرا ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم من ديارهم او
او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم
انعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا الاء الله لعلكم
تفلحون تعميم بعد تخصيص كي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المودي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به
اباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه
او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع
من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في
اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها
الهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال اية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل على
تخفيف للسمع واسناد الاطلاق الى ما لا برهان به ... اظهارا للغاية في جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم
هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا
وضعفهما ظاهر فانتظروا انا معكم من المنتظرين لنزول العذاب لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد والعذاب اي وجه كم من
المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين
كذبوا باياتنا استاصلناهم وما كانوا مومنين تعريض بمن امن منهم وتنبيه على ان الفارق بين
من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا
فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا
الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم و
كان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو
بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان له فلما راى ... ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيا ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم
فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما
فادي حقه
عاد

حتى غنتاه فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله
سقيتم فقالوا لمعوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم
دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء
وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها
اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم
منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا
والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا
لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت
مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن
ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف
لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت
من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تأكل في ارض الله
ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة
في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون
في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا
وقرئ تنحتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول
على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
قال الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض
ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على
الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن لم يؤمن
قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به
موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما
... استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها ... وقالوا يا صالح

في سهولها او من سهولة الارض
وقرئ تنحتون بالفتح
المتقدر بيوتا من الجبال و
قال الملأ الذين كفروا
واستذلوهم لمن آمن منهم
كان للذين وقرأ ابن عامر
الاستهزاء قالوا انا
ان ارساله اظهر من ان
قال الذين استكبروا
موضع ارسل به ردا لما

ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا
اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم
تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من
هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت
ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن
ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم
فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل
ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله
اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك
على سبيل التحسر عليهم ولوطا وارسلنا لوطا اذ قال لقومه ظرف له او واذكر لوطا واذ بدل منه
اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين
ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض
والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار
والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر في موضع
الحال

ونفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى
المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن
الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم
قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين
من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون من الفواحش فانجيناه واهله
اي من آمن به الا امرأته استثناها من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين
بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط
هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل
خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا
اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن
مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين
وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم
على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله
والميزان كما قال في سورة هود او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون مصدرا كالميعاد
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم
كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه و
تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها او اهلها الانبياء و
بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في
وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا

احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن
سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول
ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف
عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء
الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عُددكم فكثركم
بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين
اما اخراجكم من القرية او عودكم الى الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر
مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال او
لو كنا كارهين كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من
الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان
ما كنتم عليه باطل وان ما كنتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي
احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من
الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير
الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد
جواب الشرط والقسم الموطئ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة

ولعلها كانت حرجاتها فاصبحوا في دارهم جاثمين في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا
كأن لم يغنوا فيها استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على
هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه
فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا
عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والشفقة
فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا
كثروا عددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء قد مس آباءنا مثل
فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى
المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب
وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما
كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات
مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا أوأمن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون
ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون
من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله أفأمن اهل القرى ومكر الله
استدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد
ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه أولم يهد اي يغفلون عن الهداية
او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه

فكيف

وعودوا

وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء
كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر

فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم
نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا وتكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت
صفة ويجوز ان تكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها
بما كذبوا من قبل بما كذبوا من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا
مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة
واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم
لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا
ما عاهدوا الله عليه في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر
ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم
لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة ثم بعثنا من بعدهم
من بعد الرسل المذكورين قوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات او الامم موسى بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه
فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع
كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في
دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأه نافع
فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف
بالصدق والمعنى انه حق واجب علي القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق
معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده
قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال
قال ان كنت جئت بآية فأت بها من عند من ارسلك فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك
ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره
لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون
ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث

٧ والاظهر الى ربي فرعون وبكل لا تكون الادني لنسبه وبذلك العمال الاداني ظلمه عليهم وعند الكوفي ان للنفي

موسى

وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك
بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع
يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع
عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة
فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور
في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم هاهنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون
تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل
ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امرهما
ارجئه كما قرأ ابو عمرو ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام على الاصل
في الضمير او ارجه من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في
رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة وعاصم ارجه بسكون الهاء
فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في الاسكان وسطه واما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان
ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة
او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار
فيه وفي يونس ويؤيده انه قوبل به في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل
قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ
جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من
اجر والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم
زيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل
فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان
خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا
رهبتهم وجاؤوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات
ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها
فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه

شانه ح

ع

الأعراف

ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم
وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم
ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا و
عصينا وقرأ حفص تلقف هنا وفي طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل
ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه
والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم و
اضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر
فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم
وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني
من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام
فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق
الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم بابدال
الاولى واوا في حال الوصل وهمزة بعدها مفتوحة ومدة بعدها في تقدير الفين وقرأ في
طه على الخبر بهمزة والف وفي الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين وقرأ
الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه
ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها
يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا
وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة
الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة
فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا
على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا
بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك
ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او
صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين
على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون

فرعون

ح

لنا ح

يفرغ نخ

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا
او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء على معنى
أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون
كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فأصدق وأكن وآلهتك معبودك قيل كان يعبد الكواكب وقيل
صنع لقومه أصناما وأمرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الأعلى وقرئ إلاهتك اي عبادتك
قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر
ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر
والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا
أوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى
ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك
ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما
فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار
والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت
القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا
على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما
عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة
جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا
اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك
سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة
وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك
لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع ألا إنما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده

وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم
ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن أكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم
من الله او بشؤم أعمالهم وقالوا مهما أصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها
هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء
او النصب بفعل يفسره تأتنا به اي اي شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم
موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها أعيننا وتشبه
علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنث بعده باعتبار المعنى فأرسلنا
عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات أجنحتها و
الضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل
الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة وركد
على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك
يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث
الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا
فدعا وخرج الى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا
فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا
اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا
طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا
اليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي
فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل
على عاقل انها آيات الله ونقمة عليهم او مفصلات لامتحان أحوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان
امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز
يعني العذاب المفصل او الطاعون أرسله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو
صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه

أي والله م

ووقع عليهم

القاسم منا أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا
لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان
بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم
إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير توقف وتأمل فانتقمنا
فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم تفكرهم
حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا وأورثنا
الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم مشارق الأرض
ومغاربها يعني أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها
التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا
وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من
الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفي النحل
يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم
من الآيات العظام تسلية لرسول الله مما رأى منهم وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة
ومراقبة أحوالهم روي أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه
فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت
بقرا وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لخم
قرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم
يعبدونها وما كافة للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده
لما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر
ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله وإنما بالغ في هذا الكلام
هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين
خبرا لأن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم

ما هم فيه يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل

وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه وهو فضلكم على العالمين
تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن
قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه
معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان
ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما يقتلون أبناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين وقرأ نافع يقتلون بفتح الياء وإسكان القاف وضم التاء مخففا وفي
ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
ذي القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات
ربه أربعين ليلة بالغا أربعين روي أنه عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون
بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر
خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يزيد
عليه عشرا وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيه
وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا
ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء
موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه
من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع
كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني
من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل
من الأنبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى ولن أريك
ولن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل
السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب
أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع
سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه
على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة
أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف
تراني استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل الجواز ضرورة
أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل هو زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له

اقداره وامده وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق
اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكا اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكا للتي لا سنام لها
دكاوات فطعا دكا جمع دكا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق
تعظيما لما راى سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المؤمنين
من تعظيمك وقيل معناه انا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك
على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع
برسالاتي يعني اسفار التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ
ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة روي ان سوال الرؤية كان يوم عرفة
واعطاه التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين
موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام
واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة
لينها الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول
عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات
بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالنسبة
الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها
فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به
كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها
او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم
بمعنى ساتبين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف عن اياتي المنصوبة في الافاق والانفس
الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون
اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين
وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم
تدبرهم للايات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر اي ساصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا

باياتنا ولقاء الاخرة اي لقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم
لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم
موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا
بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي
وقرا حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم
او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ
العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه نوعا من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت
وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم
يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام
والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن شدة ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده
غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في
انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال
التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرا حمزة والكسائي بالتاء
وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل
حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب
للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة
تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه
اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم
الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح
طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح
فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام
واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه
بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه
لا لانها كانت ام ولاب وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه ابن ام بالكسر

كان نبيا ح

جواد بالجيم المعجمة

واصله ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح
زيادة في التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني
وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء ولا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي
ولاخي ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في
رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان
الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة
في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين
على الله ولا فرية اعظم من فريتهم ولعله لم تفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة
عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب
باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له
على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو
الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب
فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى ورحمة بيان للحق وارشاد
الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير
او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه
اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف
منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما
دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف
الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة
الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه
قبل ان يرى ما راى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم
باغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد عن عميم احسانك

اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم
وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم
هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا
فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت
في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالة بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي
من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا
وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا
رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك
ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به
من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها
فسأثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي و
يؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يامرهم او خبر مبتدأ تقديره
هم او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عليه السلام وانما سماه رسولا بالاضافة
الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله
احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم و
يحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم و
الاغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وقرأ ابن عامر اصارهم فالذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف
واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني
القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز
ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلعم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل

الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذى له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما
متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو
على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفى يحيى ويميت مزيد
الاختصاص بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته
ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا
وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية
الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها
على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة ومن قوم موسى يعنى من بنى اسرائيل
امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه بالحق يعدلون بينهم
فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة
القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل
قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلعم ليلة المعراج وامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا
متميزا بعضهم عن بعض اثنتى عشرة اسباطا مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه
للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط فكانه
قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل
من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه فى التيه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف
عليه الفعل فى ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم
الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره فى سورة البقرة
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث
شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما فى البقرة معنى غير ان قوله فكلوا
فيه بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم
قولوا على وادخلوا فلا اثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم
سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف
للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول
وخطيئاتكم بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابن عامر خطيئتكم بالهمزة ورفع التاء

على التوحيد وقرا نافع كذلك الا انه على الجمع وقرا ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير
الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها
واسئلهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم
او وحى ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التى كانت حاضرة البحر
قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون
فى السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف
المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ
يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على
البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا
اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك
متصل بما قبله اى لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون
امة منهم جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه
مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن
الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم
قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط فى النهى عن
المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم
يتقون اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسى ما ذكروا به ما ذكرهم صلحاؤهم انجينا الذين
ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد
فعيل من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة
على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلب فى
ذئب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على
التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا
عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا
لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تع عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم
ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى وروى ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين فقالوا

يتقون

كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين

الا انهم شاؤا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسابها
وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم **واذ تأذن**
ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله
واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو **ليبعثن عليهم الى يوم**
القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود **من يسومهم سوء العذاب**
كالاذلال وضرب الجزية على بعض منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام فضربها
ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر **ان ربك لسريع العقاب** عاقبهم في الدنيا
وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن **وقطعناهم في الارض امما** وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد
يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال **منهم الصالحون** صفة او
بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم **ومنهم دون ذلك** تقديره ومنهم ناس دون ذلك
منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم **وبلوناهم بالحسنات والسيئات** بالنعم والنقم
لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه **فخلف من بعدهم** من بعد المذكورين
خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف
بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلعم **ورثوا الكتاب** التوراة من اسلافهم
يقرؤونها ويقفون على ما فيها **يأخذون عرض هذا الادنى** حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا
وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو
ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند
الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون **وان يأتهم عرض مثله يأخذوه** حال من الضمير في لنا
اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه **الم يؤخذ عليهم ميثاق**
الكتاب اي في الكتاب **ان لا يقولوا على الله الا الحق** عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد
توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء **افلا تعقلون** فيعلموا ذلك
ولا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب
بالتاء على التلوين **والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة** عطف على الذين يتقون
وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره **انا لا نضيع اجر المصلحين** على تقدير منهم او وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف

وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات **واذ نتقنا الجبل فوقهم** اي قلعناه ورفعناه
فوقهم واصل النتق الجذب **كانه ظلة** سقيفة وهي كل ما اظلك **وظنوا** وتيقنوا **انه واقع بهم**
ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع
متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم
ما فيها والا ليقعن عليكم **خذوا** على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا **ما آتيناكم** من الكتاب
بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو **واذكروا ما فيه** بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي **لعلكم تتقون**
قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق **واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** اي اخرج
من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم **واشهدهم على انفسهم الست بربكم** اي ونصب
لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم
قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله
قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين
تنبيه عليه بدليل **او تقولوا** عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على
الغيبة **انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم** فاقتدينا بهم لان التقليد عند
قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا **افتهلكنا بما فعل المبطلون** يعني آباءهم المبطلين
بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق
والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود
من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص
بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال
وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل **واتل عليهم**
اي على اليهود **نبأ الذي آتيناه آياتنا** هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرأ
الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به
او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله **فانسلخ منها** من الآيات بان كفر بها
واعرض عنها **فاتبعه الشيطان** حتى لحقه وادركه فصار قرينه استتبعه كيف ادعو على من معه
الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه **ولو شئنا لرفعناه** الى منازل الابرار من العلماء
بها بسبب تلك الآيات وملازمتها **ولكنه اخلد الى الارض** مال الى الدنيا او الى السفالة **و**
اتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله

كان م
فكان من الغاوين فصار من الضالين وروي ان
قومه سألوه ان يدعو على موسى
ومن معه فقال
صح

ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها
انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب
معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنا اعرضنا
موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله
فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه
او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر
لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من النفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى
في الخسة والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان
وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
بآياتنا فاقصص القصص المذكور على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم
ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا
بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا
الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض
انها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيها على ان المهتدين
لواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء
وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم
والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه
لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين
الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر
اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم
وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها
المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم
على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي
احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا
الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه

قصصهم م

يسمعوا بها

لكنهم يعلم انه

يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه
كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق
اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم
سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال
لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون
ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا امة هادين
عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة
لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن
فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك
قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم
ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى تحق
عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين اي اخذي
شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة جنون روي انه علا على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم
صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره
بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات و
الارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال
قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه ولم
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة و
اسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى
طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده
اي بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع و
التصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل
اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به
فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير و
التعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده

للجنة م

نجاه م

احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسالونك عن الساعة اي عن القيمة وهي من
الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله
ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى
السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وقيل من اويت لان البعض آو الى
قل انما علمها عند ربي استاثره به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها
لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت
واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات
عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم
الا بغتة فجاة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
ماشيته يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها — والرجل
عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم
فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسالونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان
قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم
قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسؤال عنها تحبه او تكرهه لانه من الغيب الذي استاثر
بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسالونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا
لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن
العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب
ستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار
واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد
والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير
النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من
من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها ليسكن
اليها ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى
فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا
الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به اي قامت وقعدت
فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية

وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول
اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن
من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف
مضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل
فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته
لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل
عليك خروجه فتسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد
الحرث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس
قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين
بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام
جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم و
قرا نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى
ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات
على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم
على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم عباد — آلهة
امثالكم من حيث انها مملوكة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم
ويحتمل انهم لما نحتوها بصورة الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم
فلا يستحق عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم
ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها
ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت
عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم

وشركاؤكم

فلا تنظرون ولا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الاستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة
الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف
من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا و
انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضه تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا و
لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظر دون الجهر من القول متكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع
صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفي لك من افعال الناس بالغدو والاصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر
يطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند
منه فاتمم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه
عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم
واستماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلعم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي
ما احدث بك اعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته الناس يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عم
المعاصي واغراؤها بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم
يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوالك عليم بافعالك سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به
وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له زيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها
الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر مختص بهما يقسمها الرسول صلعم على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف
طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلعم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع
مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم واخوان الشياطين الذين لم يتقوا كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلعم بينهم على
الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضه وعن سعد بن ابي وقاص قال لما
بالاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلعم واستوهبته
ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين هذا ليس لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم باية الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلعم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي
قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا تلقيتها فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها و
ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترحها هذا بصائر من ربكم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات
بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول عم
القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان

قال كما كان لنا ان تحققه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين
كما حسان إنما المؤمنون اي الكاملون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه
وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت وإذا تليت عليهم آياته زادتهم
زيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها
من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال
الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا
محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة
الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع
مستمر امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال
كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال
والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه
فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك
ذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكبا منهم ابو سفيان
ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاعجبهم
المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا
صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد
المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء
العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل
ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
بذفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه
بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله
وعمر واحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لـ

موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فتبسم رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا
حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه
بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك و
شهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله
لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه قيل له لما فرغ من بدر عليك بالعير فناداه العباس وهو في
وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله
يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين لهم
انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون
اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم
تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها
انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير
فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الموحى
بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين
ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين
واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس
بتكرار لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم
بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من
القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو ويقول
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك

تخلف
وعددهم
يتمنونها
اللهم انجز لي ما وعدتني

مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم
الحال وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى
لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم
من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم من اردفته اياه
وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة
ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء
فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما
آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها
جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به ق
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ا
عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا
النصر منها ولا تيأسوا منه لفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ
من غشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو
النعاس امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس
يتغشون او يغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي
يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم
الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى
تمابك فهو نعاس شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل من السماء ماء ليطهركم
من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته او
تخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء
فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
قد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله
فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام
الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به

بالرفع م

عليكم م

المطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل
او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ
بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين
على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال
قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل
بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول
او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم و
من يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او
وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعدما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او
عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه
والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر
سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب
على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار
بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين
ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم
فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر
بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة
اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنه انه كان
في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم
العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين
اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز

دبره م

فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا إذا لم يزد
العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بدر
والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم و
تسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل
وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت
والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت يا محمد رميا توصلها إلى أعينهم ولم تقدر عليه إذ رميت أي أتيت بصورة الرمي
ولكن الله رمى أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم
وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت
بالرعب إذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل إنه نزل في طعنة طعن بها
أبي بن خلف يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات أو رمية سهم رماه يوم حصن خيبر
الحصن فأصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الأول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم
نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل إن الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم وأحوالهم ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن أو القتل أو الرمي ومحله
أي المقصود أو الأمر ذلكم وقوله وأن الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه أي
المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع و
أبو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالإضافة والتخفيف إن تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا
بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين
وإن تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير
وإن تعودوا لمحاربته نعد لنصره عليكم ولن تغني ولن تدفع عنكم
فئتكم جماعتكم شيئا من الإغناء أو المضار ولو كثرت فئتكم وأن الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة
قرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك

الرمي صح

شيئا ولو كثرت

خطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال
والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو
ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد ذلك يا أيها
الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه أي ولا تتولوا عن الرسول
فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على
أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد أو
للأمر الذي دل عليه الطاعة وأنتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا إن شر الدواب عند الله شر ما يدب
على الأرض أو شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون إياه عدهم من
البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله ولو علم الله فيهم خيرا
سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات لأسمعهم سماع تفهم ولو أسمعهم وقد علم أن لا خير فيهم
لتولوا ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل
كانوا يقولون للنبي أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لأسمعهم كلام
قصي يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا
دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولأن دعوة الله تسمع من الرسول وروي أنه عليه السلام مر على أبي و
هو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي
استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لأن إجابته لا تقطع الصلاة فإن الصلاة أيضا
إجابة وقيل لأن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الأول
لما يحييكم من العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك
ميت وثوبه كفن أو مما يورثكم الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال أو من الجهاد فإنه
سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم واعلموا
أن الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن أقرب إليه من حبل
الوريد وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة
إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أو غيره أو تصوير و
تخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران إن أراد سعادته
وبين الإيمان إن أراد شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة وإلقاء حركتها

وأنتم تسمعون صح

لام

على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم
باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم
كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور
والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظ[illegible]
منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ
كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون
لا يدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط
بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في
المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود
ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظ[illegible]
منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض ارض مكة تستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين
للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس
كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة
جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار
او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروى انه عم حاصر بني قريظة
وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
اريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا
وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم
فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
نفسك فقال والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام
قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث ان تتصدق
النقض كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه. وتخونوا اماناتكم

حتى اذا جن الظلام واختلط

الاستلام في

بكونه

نوبتي ان ج

فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون
انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم
فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر
رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او
نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من
الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت
افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم
[illegible] بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم و
[illegible] ما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده
لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما
على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله
في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق
او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليبيتوك
[illegible] فليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك
من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة
متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ
بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان
تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه
ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبي عم واخبره بالخبر وامره بالهجرة
فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابو بكر رضه الى الغار ويمكرون ويمكر الله
برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او معاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين

في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال
هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا
قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول نضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما
فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم
وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم
قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له
النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن منزلا فامطر الحجارة علينا
عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على
كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على انه مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به
كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير
منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم و
هم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد
النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في
قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه
على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم
الا يعذبهم الله وما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون
عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم
عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعونه موضعها الا
مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد او
الصدى على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق

الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته
روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون
انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام
يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر
او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين
اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب
محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرضهم في الانفاق
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما
على فواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على
الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من
الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما
ينفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة
بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط على بعض
ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله
اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان
واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر
لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل
وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء
بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك

ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما
بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله
من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون
بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان
فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما
اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان
الجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلعم يصرف الى ما كان يصرفه
المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة
سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض
راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام
سهم الله الى الكعبة لما روي انه صلعم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة
سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي
انه صلعم قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك
الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش
والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى
المساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة
قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم
بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس
واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد عليه السلام من الآيات والملائكة والنصر
بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق
يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على
الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بال

الوادي وقد قرئ بهما والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو
يعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان
قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو
استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل منكم يعني
الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة
العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا
مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل
ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لا
اختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم
الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا
الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى
عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة
بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من
في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير برواية البزي ونافع وابو بكر
يعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر
وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول و
اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان
او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم
الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة
الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها و
يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال
في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال

اراهم اياه تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان
واصحابه اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم
ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجاهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم الآيات التي
الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا
الحد وانما تصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط
ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء
على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور
يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب
مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره
البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم
بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها
قيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد
واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد
سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان
من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا
بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن
سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل
والله بما تعملون محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر
في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم
ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين
لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت

الفئتان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم
سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت
قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة
بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده
في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر
الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله
اني اخاف ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول
ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا
اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر
هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء
الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل
حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو تجعل
المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف
اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان
يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين
كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين
وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب
الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع
الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك
وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ
لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم
شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون
دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم

ابهام اخافة

عن الشيخ

من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما أخذ هؤلاء
إن الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله
بسبب أن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم مبدلا إياها بالنقمة حتى يغيروا
ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض
والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها
إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم
له وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء
الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وأن الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم
وأغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان
الأخذ به آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغيير
بأنفسهم وكل من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر
إن شر الدواب عند الله الذين كفروا أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون
فلا يتوقع منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف
والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه مستدع لتحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا
يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد
من المعاهدة والمحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته أو لا يتقون الله فيه أو نصره
وتسليطه عليهم فإما تثقفنهم في الحرب فإما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد
ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة
الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون وإما تخافن من قوم
خيانة نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم عهدهم على سواء
عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف
بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتا على طريق سوي أو منه أو
إليهم أو منهما على غيره وقوله إن الله لا يحب الخائنين تعليل للأمر بالنبذ والنهي عن مناجزة
بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا

المالات المعاونة المحاصة

وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم والذين كفروا المفعول الأول
أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لأن أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو
إيقاع الفعل على إنهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين
أي مفلتين والأظهر أنه تعليل للنهي أي لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون
طالبهم عاجزا عن إدراكهم وكذا إن كسرت إن إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية إزاحة لما
يحذر به من نبذ العهد وإيقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين وأعدوا أيها المؤمنون
لناقضي العهد أو الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته
يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لأنه أقواه ومن رباط الخيل
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة
ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للإعداد
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم بأعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا
من شيء في سبيل الله يوف إليكم جزاؤه وأنتم لا تظلمون بتضييع العمل أو نقص الثواب
وإن جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام وإلى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر فاجنح لها
وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من
أنفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من إبطانهم خداعا فيه فإن الله يعصمك من
مكرهم ويحيقه بهم إنه هو السميع لأقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب
لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وإن يريدوا أن يخدعوك فإن
حسبك الله فإن محسبك الله وكافيك قال جرير إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين جميعا وألف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في أدنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم
وبيانه لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم أي تناهى عداوتهم إلى حد لو أنفق
منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح ولكن الله ألف بينهم
بقدرته البالغة فإنه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء إنه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده
حكيم يعلم كيف ينبغي أن يفعل ما يريده وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم
الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا يا أيها النبي حسبك الله كافيك

يعصى عليه ما يريده

اولد

ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند
او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والآية
نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه
فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال
بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشرف على الموت وقرئ حرص من الحرص
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا
الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا
بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في
وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات
المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة
والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك
ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل
والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان
الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة
فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان
بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام
اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخّن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض
حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من
دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان
ونهى عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال
روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم
ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر
اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن حمزة وعليا من
اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلعم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من

وليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا فخير اصحابه واخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلعم فاذا هو و
ابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في
اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء
يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق
اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم
بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب
عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار
بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت و
الفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد
بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع
في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله
في مخالفته ان الله غفور رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله ان يفدي نفسه وابني اخويه
عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين
الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا
فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم قال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى
قال فاشهد انك لصادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته
اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم
الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك يعني الاسرى
نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله من قبل بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل
فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم
والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله
ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم

في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم
ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او
بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه
بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على
منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم
بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض
فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم
المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم
بتحصيل مقتضاه من الهجرة وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة و
رزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال
والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله
في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في
اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا وعن النبي صلعم من قرأ سورة الانفال
وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين
من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء أخر التوبة والمقشقشة
والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة
وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث
عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم
عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما ترك التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان
وبسم الله امان وقيل كان النبي صلعم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي

والجهاد

توبه

ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها
فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة وهي سابعة السبع
الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله براءة من الله ورسوله
اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز
ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ
بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين
وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود
المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم
عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين
وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر
شوال وذو القعدة وذي الحجة ومحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة
والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت
ارسل رسول الله صلعم عليا كرم الله وجهه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث
ابا بكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر
الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما
كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل
نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل ليس على العموم فانه صلعم
بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان
لا يتولى العهد ونقضه على القبائل الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد
ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم
وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة وأذان من الله
ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على
الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام
كان فيه ولما روي انه صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر
وقيل يوم عرفة لقوله صلعم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد

اشهر

رسوله

بالحج ما يفعل في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون
ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان
الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على
واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او
بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو
خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا
غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا
بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او
وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم
شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا
من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا
انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم
التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وهذا مخل بالنظم
للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل
مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم و
لا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور
رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف وعدهم الثواب بالتوبة وان احد
من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مامنه موضع
امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن
بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعوا
ويتدبروا كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى

الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم
ناكثون وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة
للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او
الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما
استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا
على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية
ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه
على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة
وكثيب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم
لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام
ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم
استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله
حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان
والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم
والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما تفوهوا به افواههم واكثرهم الفاسقون
متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي
عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته
بصد الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون
عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير
وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا

فصدوا ا ه

ولا ذمة

عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على
من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب و
فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك
ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص
اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن
ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن وقرأ هشام بادخال الف بين الهمزتين
عنه ايضا خلاف ذلك انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا
دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر
وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ
لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون
لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبون لاجله لعلهم ينتهون
متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة
الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة
نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر
وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله
الذين كفروا وقيل اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم
بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا
الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم
ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان
كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال
موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
قوم مؤمنين يعني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا
اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلعم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب
غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات

العادة بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان
على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله
عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين
حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم يستلزم
وقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين
ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم
ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير
وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب
الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة
غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه
في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي
النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة
وآتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن النبي صلعم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله
قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب
الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون
فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين لعل وعسى فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان
يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن
بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان

بالجنت بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج
كايمان من آمن ويويدالاول قراة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركين
واعمالهم المحبطة بالمومنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم
تساويهم بقوله والله لا يهدى القوم الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل
بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المومنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم
يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون
بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها نعيم مقيم دايم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به
اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه
ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله ونعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا
قطعنا آباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت
عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم
ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها
قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد
العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ١ احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف
فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل ١ ومساكن ترضونها
فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من
يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين مواقعها
وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين
ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضعه في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما

اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطائف حارب فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا
فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي
او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك
المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم في مركزه ليس
معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهي
شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب
سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال
هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
فلم تغن عنكم شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه قيام
ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال
ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا
واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل
جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز
عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلعم وقالوا انت خير الناس وابرهم
وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الغنم و
الابل ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام
رسول الله صلعم وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا
بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا
حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل منكم من لا يرضى فمروا
عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس
لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون
عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا

لرجس

توبة

فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول
الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة و
قاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم
عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل
السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد
والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال
ان شاء قيده بالمشية لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود
يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان و
لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون
اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق
الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون
حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير
اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى
عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة
عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس يؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه
ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس
حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب
وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا و
عند ابي حنيفة يؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عم صالح عبدة الاوثان الا من كان
من العرب وعند مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني و
الفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب
ربعها ولا شي على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم
او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية

وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا
ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم
يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرا عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه
عربي مخبر عنه موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او
لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا
او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى
المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم
اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان
وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهون قول
الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
من قبل اي من قبلهم فالمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرا به
عاصم ومنه قولهم امراة ضهيا على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء
عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل
الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا وما
امر به المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا وليطيعوا
الها واحدا وهو الله تع واما طاعة الرسل وساير من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا
اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او
القران او نبوة محمد عم وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عم بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل
موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان
لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون وضع المشركون موضع الكافرون
للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول

بابن غير

بافواههم بشركهم او بتكذيبهم ويابى الله الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام

والّلام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان
كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها
بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه و
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به
الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون
الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ
ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلعم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب
ما بقي من اموالكم وقوله ما أدي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق
فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها
لما روي فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا
كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم
هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد واصله
تحمى بالاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل
من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بها دنانير ودراهم
كما قال علي رضه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز
او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها نفقة ٧
ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع
التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم
لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال
كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها
معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه
لانها عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب
ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها
اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم

ذلك الدين القيم تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها
والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه
اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم و
الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيده اول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين حاصر ١٠
في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا و
هو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا
ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تأخير حرمة
الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى
رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام
الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا أخره زيادة في الكفر
لانه تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان
الفاعل الله يحلونه عاما يحلون النسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر و
يحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان
يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل
ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة
ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمون او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله
لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا
قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على
الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان
ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة و
كثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها
فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر
الا تنفروا الا اذا استنفرتم يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط و

ظهر وعده ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شي وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي لا تضروه فان الله وعد له العصمة والنصر ووعده حق والله على كل شي قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصر بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضه على رسول الله صلعم فقال علم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي علم او على صاحبه رضه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا له وبتاييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا وثقالا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلعم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه

لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شي اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في عذرهم وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلعم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج معك لاعدوا له عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة وعده بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا

للخروج ٧

حتى

زادوه لأن الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولأجل هذا التوهم جعل الاستثناء
منقطعا وليس كذلك لأنه لا يكون مفرغا ولأوضعوا خلالكم ولأسرعوا ركائبكم
بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا إذا أسرع يبغونكم الفتنة
يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في أوضعوا
وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل
إليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
أمرك وتفريق أصحابك من قبل يعني يوم أحد فإن ابن أبي وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد
ما خرج مع الرسول إلى ذي جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد وقلبوا لك الأمور
ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الآراء في إبطال أمرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الإلهي وظهر أمر الله
علا دينه وهم كارهون أي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول عليه والمؤمنين على تخلف المتخلفين وبيان
ما ثبطهم الله لأجله وكره انبعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة اعتذارهم تداركا لما فوت
الرسول عليه بالمبادرة إلى الإذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود
ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة أي العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي وفيه إشعار بأنه لا محالة
متخلف أذنت أو لم تأذن أو في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال إذ لا كافل لهم بعدي أو في الفتنة
بنساء الروم لما روي أن جد بن قيس قال قد علمت الأنصار أني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر
ولكني أعينك بمالي فاتركني ألا في الفتنة سقطوا أي أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة
التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وإن جهنم لمحيطة بالكافرين
جامعة لهم يوم القيامة أو الآن لإحاطة أسبابها بهم إن تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم لفرط حسدهم وإن تصبك في بعضها مصيبة كسر أو شدة كما أصاب يوم أحد
يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل فتحولوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف ويتولوا
عن متحدثهم ذلك ومجتمعهم أو عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا إلا ما
كتب الله لنا إلا ما اختصنا بإثباته من النصرة أو الشهادة أو ما كتب لأجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم
ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لأنه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب لأنه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولي أمرنا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون لأن حقهم أن لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا
إلا إحدى الحسنيين إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن
نتربص بكم إحدى السوأيين أن يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء أو
بكم

ابطال امرك

بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا إنا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم أمر في معنى الخبر أي لن يتقبل
منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة في تساوي الأمرين في عدم القبول كأنهم أمروا
بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس وأعينك بمالي ونفي التقبل
يحتمل أمرين أن لا يؤخذ منهم وأن لا يثابوا عليه إنكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل
الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله
أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي أن يقبل بالياء لأن تأنيث النفقات غير
حقيقي وقرئ نقبل على أن الفعل لله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى متثاقلين
ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا
فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فإن ذلك استدراج ووبال لهم كما قال إنما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها
من الشدائد والمصائب وتزهق أنفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين
بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله
إنهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم أن
تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون إليه أو
مغارات غيرانا أو مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل
وقرئ مدخلا أي مكانا يدخلون أنفسهم ومندخلا من اندخل ومتدخلا من تدخل لولوا إليه لأقبلوا نحوه وهم
يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من
يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها فإن أعطوا منها رضوا
وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون قيل إنها نزلت في أبي الجواظ المنافق قال ألا ترون إلى صاحبكم
إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله
يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله
فقال ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وإذا للمفاجأة نائب مناب فاء الجزاء ولو أنهم رضوا ما آتاهم
الله ورسوله ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن ما فعله
الرسول كان بأمره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة أو غنيمة أخرى
ورسوله فيؤتينا أكثر مما آتانا إنا إلى الله راغبون في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها في
حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله

ومنه فلا

وابن كثير بلا مذكره

الرسول فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين أي الزكوات لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير
من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه
من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وأنه عليه السلام سأل المسكنة وتعوذ
من الفقر وقيل بالعكس لقوله أو مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها
والمؤلفة قلوبهم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيستألف قلوبهم أو أشراف يترقب بإعطائهم
إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلعم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس
بن مرداس لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فإنه عليه السلام كان يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم
من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة
وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وكثر أهله سقط وفي الرقاب
وفي فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال
مالك وأحمد أو بأن تفدى الأسارى والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب
وقيل للإيذان بأنهم أحق بها والغارمين والمديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء
أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله
أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل
عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل
وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه
الآية أي فرض لهم الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة
والله عليم حكيم يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف
الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه
ذهب الشافعي رضه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى
صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي
على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو أذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه
صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا إذا استمع
روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم
تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث إنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك

فرضه

بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من
خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان
ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف
سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ
حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي
يأذن لكم رحمة وقرأ نافع وأذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر
ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون
بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله أحق أن يرضوه أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير
لتلازم الرضاءين أو لأن الكلام في إيذاء الرسول وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه
والرسول كذلك إن كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا أنه أي أن الشأن وقرئ بالتاء
من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فأن له نار جهنم خالدا فيها
على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم
يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في
قلوبهم وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل
عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا في كفرهم وأنهم لم يكونوا
على بت في أمر الرسول بشيء وقيل إنه خبر في معنى الأمر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء
لقوله قل استهزءوا إن الله مخرج مبرز أو مظهر ما تحذرون من إنزال السورة فيكم أو
ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب
روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل
يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا
وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا
باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب قد كفرتم قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول والطعن فيه بعد
إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء

ونستهزئ نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او
على الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما وعن بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله
ان نعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض
الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده
عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المومنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار
كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان
المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق عن دايرة الخير وعد
الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته
ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين
من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم
واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما
الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخرجة من الشهوات
والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذات الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين
واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج
او كالخوض الذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا
في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبا الذين
من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود
بالرجفة وقوم ابرهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب
اي اهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والموتفكات قريات
بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين والمتمردين
انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله
ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم
حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمومنون والمومنات بعضهم

طاعته

اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله
في ساير الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين موكدة للوقوع ان الله عزيز غالب
على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المومنين والمومنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب
فيها العيش وفي حديث انها قصور من اللولو والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن
اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير
ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان
يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجمع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس
ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب
العيش معرى عن شوايب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر
من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدا لكل سعادة وكرامة والمودي الى نيل الوصول و
الفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ
عليهم في ذلك ولا تحابهم وماويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا
روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن
كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلعم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت
فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا
عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام
راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المومنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن
ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش

فلما قدم بهم رسول الله صلعم آثروا بالغنائم وقُتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر
الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل والعلل فان يتوبوا يك خيرا لهم
هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من
ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلعم وقال ادع الله ان
يرزقني مالا فقال صلعم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاق
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل رسول الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه
الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا
حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على
راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم فجاء بها الى ابي بكر رض
فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه فلما آتاهم
من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عن طاعة الله
عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد
في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم
يلقونه الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه
بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال وقرئ يكذبون
بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله
يعلم سرهم ونجواهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون
به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه
ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في
يلمزون المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه صلعم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت
ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلعم بارك الله لك فيما اعطيت

وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن
عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي
عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم
الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون
منهم يسخرون منهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم
عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين
الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلعم في مرض ابيه
ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال صلعم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه صلعم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز
ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه
العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة
وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر
الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل
على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره
المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه
من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم بقعودهم خلاف رسول الله بعد
خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه
على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا
للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه
ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين
تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون

نوبه

ان مآلهم اليها او انها كيف هي لما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا و
ليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا و
الآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين
عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك
الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان
المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة
تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى تبوك
فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ الخلفين
على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل
قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه و
نهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين
اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب
النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احيا الكافر للتعذيب [illegible]
ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله
ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر
حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في
فريق غير الاول فاذا نزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا
بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولو الطول منهم
ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا
مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن
الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم ي
جاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة
في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة

واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد و
كثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا
والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن
لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في
انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله و
رسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا الاولين
فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره
عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر
اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او
بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل
اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون
في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على
الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلعم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو
موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا
واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب
على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة
او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم
انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنوك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان
يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة

والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم
قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله
من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد و
سيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال
للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه وضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم
تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان
المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا يقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك
ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في
الآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون
يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه
امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم
من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم
الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم اهل
العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر
فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق
في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسب عند الله ولا يرجو عليه ثوابا
وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم
فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون به او
الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار
سمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير
وابو عمرو السوء هاهنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق

...ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما
ينفق قربات سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ عند الله صفتها او ظرف
ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين و
يستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له
ان يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره
الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف
التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله
في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى
في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون
الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة
والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا اثني عشر و
العقبة الثالثة وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب
بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون
بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية واعد لهم جنات تجري
تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون
هم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق نظيره في حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني وعلى
الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم
وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي
مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم و
نطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان
ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم
ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم

وعد لهم

الهجرة

والدنيوية م

فقال وانا

على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلعم فدخل المسجد على عادته
فصلى ركعتين فرآهم فسال عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقسم الا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي
هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق
والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط
عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم
ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم
لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت
ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المودي بهم الى مثله
وتطهرهم من اطهر بمعنى طهر وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم
وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع
عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم و
تصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من ياخذ شيئا ليؤدي بدله
الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون
لا يخفى عليهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون
موقوف امرهم من ارجيته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو
لعقاب لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم
للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم
وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال ابن امية ومرارة بن الربيع
رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم
امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا
محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر
بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سالوا

توبه

ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم
ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلعم فقالوا انا قد بنينا
لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه و
تفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قبا وارصادا وترقبا لمن حارب
الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين الى ان انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي من قيصر
بجنود يحارب بهم رسول الله صلعم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما
انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلعم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر
واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين
والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى
يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلعم وصلى فيه ايام مقامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق
للقصة او مسجد رسول الله صلعم لقول ابي سعيد سالت رسول الله صلعم عنه فقال هو مسجد المدينة
من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان لقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين
من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان
يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون الليل
عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما
نزلت مشى رسول الله صلعم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس
فقال ا مؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون
بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام
مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تبارك وتعالى قد اثنى عليكم فما
الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع
الاحجار الماء فتلا عليه رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على
تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة

مصلاء

فتعلّه

مسجدكم هذا

خلون

توبه

أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها فانهار
به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار وإنما وضع شفا
الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووصفه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس
ذلك على أمر يحفظه عن النار ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي أدناها الجنة وتأسيس هذا
على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلى النار لا محالة وقرأ نافع
وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس على الإضافة وأسس وإساس
بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر
وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين إلى ما فيه صلاح ونجاة
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم أي شكا ونفاقا
والمعنى أن بناءهم هذا سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عليه السلام رسخ
في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا
يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأزمنة وقيل المراد
بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب
إلى بحرف الانتهاء وتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف
وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله
عليم بنياتهم حكيم فيما أمر بهدم بنائهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لأجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الأمر
قرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا يوجب الترتيب وأن فعل البعض
قد يسند إلى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فإنه في معنى الوعد في التوراة
والإنجيل والقرآن مذكورا فيهما كما أثبت في القرآن ومن أوفى بعهده من الله مبالغة
وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح
أوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح
أي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره
التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهد لقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر

الجنة

بمعنى تنقطع

في سبيله

على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا [illegible] نصبا على المدح أو
صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه أو لما نابهم
من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتي الصوم شبه بها لأنه يعوق
عن الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أو السائحون
للجهاد أو لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف
بالإيمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على
أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون
لحدود الله أي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل
وهذا مجملها وقيل إنه للإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث إن السبعة هو العدد التام
والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء
الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك وأن
المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين روي أنه
عليه السلام قال لأبي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم
أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت
ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين ولو
كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر
وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار
إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها
إياه وعدها إبراهيم أباه بقوله لأستغفرن لك أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه
يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان
فلما تبين له أنه عدو لله بأن مات على الكفر أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن تبرأ منه
قطع استغفاره إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم
صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل
قوما ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين لهم ما يتقون
حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول في قوله لعمه أو لمن استغفر لأسلافه
المشركين قبل المنع وقيل إنه في قوم مضوا على الأمر الأول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي

الأذى

قوما

الاجله دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شي عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم
عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرا عنهم راسا بين
لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا
بشراشرهم اليه ويتبروا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم
عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة
والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله وتوبوا الى الله
جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة
واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة
العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير
واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او
القوم والعائد اليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي
وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه
على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف
رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا
تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
برحبها اي مع سعتها وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم
من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة
الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وعملا وقولا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم
فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان
يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة

بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله في
الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به
رسول الله واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل
عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم
ظما شي من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطئون
موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطاه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب
الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة ان الله
لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان
اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا
في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا
كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او
احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا
لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد
القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة
لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها
كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا و
اعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون
الى النفر وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم

يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود
من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو
وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلعم اولا بانذار عشيرته
فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير
وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله وضمها
مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين
من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل
يفسره زادته فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر
السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه
سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم
ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون
يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلعم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من
احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد
اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو
يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم
لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم عزيز
عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شأنكم
بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرأفة شدة
الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك
معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف
اذاهم

المعرة السوء والاذى

وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه
الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي رضي الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو
الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة سورة يونس مكية وهي مائة
وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر
فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين وامالها الباقون اجراء
لالف الرا مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته
السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم
او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه
ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام
للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من
رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى
الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة
الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال
اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من ان بعث بشرا
رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من
الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من
احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم
قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق
والسعي بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها
بصدق القول والنية ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها قال الكافرون ان
هذا لساحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف
بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا
سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته
وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابه وتنزيله منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء
محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على

من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في
شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر
فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا
بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان
قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله
انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه
العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب
حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان
بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما
يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم
وشؤم افعالهم والآية كالحجة على قوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة
مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح كالتعليل له
ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء
وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير
ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور
وهو مصدر وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور
وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها
قدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه
بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد
السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما
خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض
لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب

والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث و
ذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها
واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما
يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن
الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين
والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل
في الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى
سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له
تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير
وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم
فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم
بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم ان الحمد لله
رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه
مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها
وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرع اليهم الشر استعجالهم بالخير
وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم
والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا

او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما
كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه
كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه
الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون
من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما
ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات
الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا
وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام
لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه
لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على
كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها
بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف
معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر
في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا
بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب
آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم
اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو
مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر
ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه
بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي
اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل
لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني
وعن ابن كثير برواية قنبل والبزي عنه ولادراكم بلام التوكيد اي لو شاء الله ما تلوته
ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى ان الحق الذي لمحض مشيئة الله لا مدخل لي فيه وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادرأكم بالهمزة
على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته

خصماء تدرؤنني بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه
ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه
ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة
لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة
كل منطيق وعلى كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص
الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون
اي فلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه
لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على
نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع
ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا
وفي الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث
تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما
يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع
وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤهم عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في
السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان
ما يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث
مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء
الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء
وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق
وذلك في عهد آدم عم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل
فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى
ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى
يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزاله

الايات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم
من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا
اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم
مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكوا
ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا
منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة
جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان
رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم
يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرا ابن عامر بالنون والشين من النشر في البر والبحر حتى
اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه
تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك
جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات
عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم
احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاطت به العدو دعوا الله مخلصين
له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل
من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم
اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بحق
وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بالحق
الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة
١٠ الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر
تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع
الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم
متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم
في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة
تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به

ن الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام
الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها
باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان
ب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
فعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
ن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها
امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم ينبت والمضاف
ف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل
ن الزمن والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه
بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم
الا الماء وان وليه حرف التشبيه من التشبيه المركب كذلك نفصل
ت لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام
من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك
يسلم الله تعالى والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى
تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان
المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى
حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
من الله تعالى ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما
اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى
مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير
الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه

تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت واولئك اصحاب النار
بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة واقع او بمثلها على زيادة الباء
مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد نعصمهم
من سخط الله تعالى او من جهة الله تعالى ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت
قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل وقرا ابن كثير
والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان
الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول
اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد
للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول
معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم
ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم
فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل
الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة
والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا
عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك
المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه
وقرا حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اى تقرا ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبعه
فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى
اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها
ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر
فما منصوب بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق
ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر
المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون من انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان
الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل

على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالهما
من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر
الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله
اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون
انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق
اى المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم
واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام
انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في
الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك
اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله
وحكمه وقرا نافع وابن عامر كلمات هنا وفي اخر السورة وفي غافر على الذين
فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل
من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من
يبدؤا الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان
لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلوة والسلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال
قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون من قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج
وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما تعدى بالى لتضمنه
معنى الانتهاء تعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه
على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن
يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي
الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع
وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر وتشديد الدال
والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروي

ابو بكر يهدى باتباع اليا الهاء، وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين
لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون
الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على
الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من
ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى من
الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن
الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد
والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم الظن واعراضهم
عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى افترآ من دون
من دون الله من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه مطابقا
لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه
معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة
وصلة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تعالى تصديق الذى وقرئ
بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل
ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر
ثالث داخل فى حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب بانه مفعول فى المعنى وان
يكون استئنافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او
متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم
ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم وقوة
المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم
والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به
من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه افتراه
بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا
اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر

ما بدا لخاطره منهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم
تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه
صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل
ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه
لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع
ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين
من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم
بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به
فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره
من قبلهم ومن المكذبين ومنهم من لا يؤمن به لا يصدق به فى نفسه لفرط
غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة
فقل لى عملى ولكم عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم
جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون
لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرات القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا
افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو
انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى
المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم
فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد
تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به
البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك
ولكن لا يصدقون افانت تهدى العمى تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون
وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم

إن الله لا يظلم الناس شيئاً بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس أنفسهم
يظلمون بإفسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسباً وأنه ليس
مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز أن يكون وعيداً لهم بمعنى أن ما
يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم
باقتراف أسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم
كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
أو القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال أي يحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث إلا ساعة أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا
قبله أو لمصدر محذوف أي حشراً كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً وهذا أول ما نشروا ثم ينقطع
التعارف لشدة الأمر عليهم وهو حال أخرى مقدرة أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا
أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في يتعارفون
على إرادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في
تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم وإما
نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر أو
نتوفينك قبل أن نريك فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة الله
وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم
القيامة ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق فإذا
جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل
فأنجي الرسول وأهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة
رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضي بينهم
بإنجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون
متى هذا الوعد استبعاداً له واستهزاء به إن كنتم صادقين خطاب منهم
للنبي والمؤمنين قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب
إليكم إلا ما شاء الله أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل أمة أجل مضروب لهلاكهم

إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون و
لا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل أرأيتم إن أتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتاً وقت بيات واشتغال بالنوم أو نهاراً
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون أي شيء من العذاب
يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لأنه بمعنى أخبروني والمجرمون
وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد لا أن يستعجلوه
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو عرفوا خطأه ويجوز أن
يكون الجواب ماذا كقولك إن أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله
أثم إذا ما وقع آمنتم به بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم
الإيمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لإنكار التأخير آلآن
على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان
بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيباً واستهزاء
ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم
على الدوام هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك
ويستخبرونك أحق هو أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل
تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبئونك
وقيل إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو فإن فيه تعريضاً بأنه باطل وأحق مبتدأ والضمير
مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة في محل النصب بيستنبئونك قل إي
وربي إنه لحق إن العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن
وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال إي
والله ولا يقال إي وحده وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو أن لكل نفس ظلمت
بالشرك أو التعدي على الغير ما في الأرض من خزائنها وأموالها لافتدت به
لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه وأسروا الندامة لما
رأوا العذاب لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم
يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إخفاءها إخلاصها أو لأنه يقال سر
الشيء لخالصه من حيث إنها تخفى ويضن بها وقيل أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره
إذا أظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريراً

لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او
الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول
قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون
بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال
ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح وللحكمة النظرية التي هي شفاء
لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمومنين
حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص
الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي
فبمجيئها فليفرحوا والفاء للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن
يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض بناء على مذهب الكوفيين وقد روي مرفوعا
ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال
هو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المومنون فهو خير مما
تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا
لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى
اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا
مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة
ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد ويجوز ان يكون الاستفهام

للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا
يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي
ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل
وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثر الناس هم لا يشكرون
هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه
اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه له لان تلاوة القرآن معظم شان الرسول
او لان القراءة تكون لشان فتكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية
او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون
من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة و
ذكر حيث عمم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه
اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب
عن علمه وقرا الكسائي بالكسر هنا وفي سبأ من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما
وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر
اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ
مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف
عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول والآية مجملة فسرها قوله الذين امنوا
وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة
وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على
وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا
اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها
اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم لشانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله.

علمه م
بالكرامة لهم
لهم

ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يُحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى
ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن
لقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات
ومن في الارض من الملئكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات
عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا
يسمونها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ
تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين اي انهم لا
يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم و
منشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون
انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على
كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا
ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له
عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان
اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من
سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم و
بهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان اتقولون على
الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه
فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على
الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون
بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في
الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان

كلم

كان كبر عليكم مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني
واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم
بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه
وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل و
جاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر
شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ
به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في
اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم عليكم
غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم
غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من
افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري
فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم
ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم تثيبني به امنتم او
توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره و
لا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم
ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به و
اغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم
بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاءوهم
بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما
استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به
من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك
نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق
ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون

وهم

بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين
الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق
من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم
ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي للقول لدلالة ما قبله عليه
ولا يجوز ان يكون أسحر هذا لانهم بتّوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه
اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى
اتقولون للحق تعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى
عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس
بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر
لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به
الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك
فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي سحّار
بكل ساحر عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون
فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها
وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف
اي السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله
سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل
على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من
قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير
لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملئهم اي مع خوف منهم والضمير
لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة

معتاد ظهر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول
خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون
لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين
مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط
ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين
اي لا تسلطهم علينا فيفتنوننا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم
مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب
دعوته وأوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت
قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها وأقيموا
الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى
الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع
لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحّد لان البشارة في الاصل
وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة
ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا
يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان
تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا
للضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود
عرض الضلال وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحو وقرئ اطمس بالضم
واشدد على قلوبهم واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما
دعاء معترض

قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على
ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه
مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق
الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان
ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ
جوّزنا من فعّل المرادف لفاعل كضعّف في ضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته
فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ
عُدُوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت
به بنوا اسرائيل وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف
وتفسير الآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن
اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك
وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل
ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروع كأنه كان مظاهرا
بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما
خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل
او لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة
على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية
وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه
تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته و
هذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ
حتى جاءهم العلم فما اختلفوا الا من بعد ما قرءوا التورية وعلموا احكامها

في امر دينهم فما اختلفوا

او في امر محمد عليه الصلوة والسلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك
فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير
فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم
على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان
القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه
او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
لا اشك ولا اسئل وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما
نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة
فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع
الاطماع عنه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم
كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في النار لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب
ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف العذاب
عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب
ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان
تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من
القرى اهاليها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده
قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث
الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين
فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا
فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض
وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى
فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في

لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم

في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على
القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة
الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله تعالى منهم
حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام
للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن
تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه عليه الصلوة
والسلام كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله
وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه
فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله تعالى ويجعل الرجس العذاب او الخذلان
فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون
عقولهم بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من
الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات والارض
من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت
انظروا عن العمل وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم
الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام
العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على
محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن
بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء او
انجاء كذلك ننجي محمدا عليه الصلوة والسلام وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر
وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان
كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم هذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل
الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن
اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت
ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز

ان يكون من المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق
بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال
كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب فالمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد والاستبداد
فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا
حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان
دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة
الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له فلا رافع له الا هو الا الله
وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراد لك به ولعله ذكر الارادة مع الخير
والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم
لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله تعالى لا يمكن رده يصيب به بالخير من
يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من
غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق
لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما
فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي
امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم
وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه
لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية
وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت اياته نظمت نظما
محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد
ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد
من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او جعلت فصولا سورة او بالانزال نجما نجما

او فصل فيها ما يحتاج اليه وثم فصلت بين الحق والباطل او احكمت اياته ثم فصلت
على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة
اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها
على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة
لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتداء للاغراء على التوحيد او الامر
بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله تعالى بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه
نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم
عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن
طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان
يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى
هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله
ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين
وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل
يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله
مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر
على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم
يثنون عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه الصلوة والسلام او يولون ظهورهم
وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلا
الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة
ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة
من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد عليه الصلوة
والسلام كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا
حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون
في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى
ان يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة

وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها
اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها
في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها
بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او
ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل
والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه
كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام
هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق
بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر
والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح
للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل
ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه الصلوة والسلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القران المتضمن
لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى
القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى على اي ولئن قلت علكم
مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره
ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات
قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا
عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل
على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل
تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون
فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة

ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاؤه
من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغة في كفران ما سلف له من النعمة ولئن
اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين
نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي سائتني انه لفرح
بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس
تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه
يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين
صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها
ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء
من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك بترك تبليغ بعض ما يوحى
اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو
اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية
في التبليغ هنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه
وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما
اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك تضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل
فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام
منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر
سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون
على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم
وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين في
انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول
عليه الصلوة والسلام او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول عليه الصلوة والسلام متناولا لهم
من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة
يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه

سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر
عليه غيره لظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه
وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله تعالى آلهتهم فهل انتم مسلمون
ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون
الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة
لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
تعالى وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في
الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب
والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة
وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله تعالى ونوف على البناء للمفعول
ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية
في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت
لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الآخرة او لم يكن
لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضائه ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف
بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل
واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر
كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان
من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه
هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر
الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل
المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل
العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب
موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة
والشاهد هو جبريل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير

بلغ

في يتلوه اما للمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرى كتاب بالنصب
عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة
على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة
يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلعم
فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرى مرية
بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال
فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او تعرض اعمالهم ويقول الاشهاد
من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ بظلمهم بالكذب
على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف
عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم كافرون والحال
انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم
من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم
يضاعف لهم العذاب استيناف وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم
عن ايات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما
كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم
ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم
سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا
منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا
له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم
والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات

ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن
بالبصير والسميع لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين
او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب وهذا من
باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا
او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم وابن
عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب
ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز
ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب
يوم اليم مولم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه
على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملا الذين كفروا من
قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب
الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل
بادي الراي ظاهر الراي اي من غير تعمق من البدو او اول الراي من البدء والياء
مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف
اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم
فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها
ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم
بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت
على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء
البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان
البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة
وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت
وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون

لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف
منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسئلكم عليه على التبليغ وهو وان
لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما
انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما
تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان
تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله يدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك
الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه
ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم
الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني
استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى
الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا
ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لن يؤتيهم لفقرهم صح
الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم
بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال
من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة
والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم
وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا
فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت
من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم
به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة
دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد
ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت
طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا
من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان
خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك

هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم
ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع
وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه
لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك
باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ الشيء ويراعي عن الاختلال
والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها
ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم
انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية
وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه استهزءوا به لعمله السفينة
فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون
له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق
ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير
فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع وارتفع كالقدر تفور
والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او
في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها
قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين
اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين
اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه
ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة
فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة
وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة
من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي

اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا
لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال
من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما
على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك
خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا
وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا
تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله الى الحول
ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها
ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله تعالى ان ربي
لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل ان الماء
طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا
شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه
كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده
لقوله فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه
عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا
في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير
فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة والثالث في رواية قنبل وغير عاصم فانه فتحها
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم
ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او الاعتزال قال ساوي
الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من
رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله تعالى وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم
معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله
في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين

بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا
بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر
المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف
والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكفرة
وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام
وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار
سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا لا يرجى
عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والاية في غاية الفصاحة
لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي
من الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه
مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى
الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال
رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد
تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم
او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه
بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد
فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين
وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه
عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب
هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان
ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله
اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله
قد دل على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه

وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون
على ان اصله تسئلنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة
للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل قال رب
اني اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا
تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن
من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة
مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك
ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير ادما ثانيا وقرئ اهبط بالضم
وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك
سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم
في الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط
وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء
وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة
اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن الانباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل
ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي
ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم
فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر
وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله
نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره
وقرئ بالجر حملا على المحل وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان
شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت
مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل
والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة
الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان

الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر
ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة
القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم
ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة
كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة
دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي
الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي
وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول
الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك
اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو
لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله
على براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا
عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه
وراوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة
ان الهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما وهذا من جملة
معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة
دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك
عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي
ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده
معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد

لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء
ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه
بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان
ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم
او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم
من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل
انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب
الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة
بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة
الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا
رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر
كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعنيدا اذا طغى والمعنى
عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة
لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه
او كفروا به فحذف الجار دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار
بحالهم عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
البعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه
خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها
عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى
اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة
عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب
من الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من
مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما

الا بعدا لعاد

قوم هود

فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا
على حكاية الحال الماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري
عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من
اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف
الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله
فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني
اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله تعالى والتعرض
لعذابه او فما تزيد ونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله
لكم آية نصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها
فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم
الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه
باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله
فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرا
نافع والكسائي يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي
المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء
والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم
يغنوا فيها وقد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف الا ان ثمودا كفروا ربهم وقراه
حفص وحمزة ان ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين
ونونها الكسائي بخفض الدال في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل
واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك
سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم او جوابي سلام
او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائي
سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء به او فما
تاخر عنه والجار في ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه

من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه
لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا
به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا لما احسوا
منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة
اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر
تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك
اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان
العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في
لبابة ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه
معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل
بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف
اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد
وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء
ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما
في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون
منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في
الشر واطلق في كل امر فظيع وقرأ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع
وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين
ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد
من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من
امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق
العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم
والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت
في ملاحظة الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم

اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما
ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى
بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله
ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب
بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا
ومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول
على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب
راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته
يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه
قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير
مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان
يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والاعتياض وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة
المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم
هؤلاء بناتي فدا بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا
يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه
شرع طار او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة
امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من
حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن
اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب
واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو فانه لا يقع فصلا
بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم
فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي
عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد

وهما ثنتان الذكران قالت لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي
الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن
النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب
باضمار ان كانه قالت لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم
وروي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا
الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن
يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم
ان يدخلوا فضرب جبرئيل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون
النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع
بالوصل حيث جاء في القران من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت
منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط
الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك
بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر
بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل
من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت
صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح
حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله لا يلتفت
مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من
ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف
بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع
ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال
لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب
مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورين
به فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه
تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة
من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من

اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار
او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت
نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال يتتابع بعضه
بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب
وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به
عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق
بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلوة والسلام انه سال جبرئيل فقال
يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام
وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد
مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي
للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة
حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا
تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد
عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي
صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح
الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد
التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط
بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب
غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد
تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا
في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد
وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة
وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصده الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام

وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله
ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة
وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله تعالى والباقيات
الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما
انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم
عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو
لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد
اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به وللتهكم بصلوته
والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس
من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة
والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف
المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف
على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك
وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم
والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه
بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين
عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة
الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه
من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا
عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته
بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي
ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهاه عنه يقال
خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد
الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع
الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا

هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد
حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل
ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع
الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته
فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم
ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا
واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على
الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذر من الله والاستعانة
به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم
وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم
لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق
او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم
فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من
المتعدي الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل
بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد
لان المراد وما اهلاكهم او ما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث
لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه
عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا
يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما
ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة
لك فتمنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم
مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على

القضاء والشهادة والفرق بيّن ولولا رهطك وقلتهم وعزتهم عندنا لكونهم
على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة
لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا
ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف
النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه
ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا
تتقون الله وتتقون رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب
وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط
فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل
سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف
تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب
سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب
عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك سيعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه
وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن
هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال
ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول اني معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما
جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو
كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح
ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح
فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان
كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت
من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون
بسبب الهلاك والبعد مصدر المكسورة ولقد ارسلنا موسى بآياتنا

والبعد مصدر للمضموم

بآياتنا بالتورية والمعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا
وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد ولقد ارسلناه بالجامع بين
كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء
لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص
القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون
فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة
الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده
على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد
مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة
الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم
النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها
موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورود الذي وردوه النار فانه يراد
لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون
برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد
ما كان مامون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي
يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء
المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم
وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبا من انباء القرى المهلكة نقصه مقصوص
عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر
كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو
ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها للهلاك بارتكاب
ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التي يدعون
من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما
زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك
وقرئ واخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى
اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في
الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا

لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره وبيان وخامة العاقبة ان اخذه
اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير
ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة
لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله
للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجبه لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل
تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك
اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس
اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة
وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع
له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه
اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل
من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل
الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم
الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واراد
مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم ياتي اي الجزاء او
اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان اليوم بمعنى حين [illegible] الله عز وجل كقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها
بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف
ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون في موقف اخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار
الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب
الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس
او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما
الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر

[illegible]

فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها
ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان
النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة
لما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا
من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل
المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق
وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليها قوله تعالى يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما
لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب
والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار
لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان
زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم
مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء
كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى
هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم
منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا
المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من
الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه او من اصل
الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي
اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل
يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق
وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء
ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع

وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية في شك بعدما انزل عليك من حال الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شئ منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله عليه الصلوة والسلام بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلوة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك

معك اي من تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي عليه الصلوة والسلام فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية

من الرأي او العقل او اولي فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه
يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي
ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر
بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم
لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من
النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات
واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه
اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم
للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض
وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة
ويعضده تقديم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون
فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه
ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك
ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل
ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه
ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا
الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق
والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام
للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك
وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما
اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل
نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود
من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال
اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك
ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك
الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة

٥٢٢٩
يوسف

العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا
وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله
غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية فيهما واليه يرجع الامر كله
فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول فاعبده
وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما
ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ
نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي اخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء
ان شاء الله تعالى سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
المبين اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة
الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او
لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم
لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرانا عربيا
سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه
على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا
صفته او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون
علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه
او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور
الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع
الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى المفعول
كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك هذا القران
بايحائنا اليك هذه السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان
كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط
وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اذ قال يوسف
بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف

الدائرة الحوادث

وابن عامر بالياء ههنا وفي آخر النمل

عبري ولو كان عربيًا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب بها لا على انه مضارع
بني للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم وعنه عليه الصلوة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة
ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها
وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة
وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى
الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل
منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص
رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي
عن جابر ان يهوديا (بستان) جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن
يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب
وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء سجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها
فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره
للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثني عشر سنة وقرا حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم
يعقوب من رؤياه ان الله اصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم
وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التانيث
كالقربة والقربى وهو انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك
والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند
فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هنالك
ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه
لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان

للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوا فلا يالوا جهدا في
تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك بمثل
هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او
لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام
مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير
الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت
كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع
للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة بان يصل نعمة الدنيا بنعمة
الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب
او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت
ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم
آيات دلائل قدرة الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير آية للسائلين
لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاتة العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون
ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب عليه السلام اولا فلما توفيت تزوج اختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون
دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من
لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى
جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية
فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي
ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى
فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ
حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا قائل منهم
على ذلك الا من قال لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون
او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت

كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم
فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره
او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم
وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم
قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف
فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر و
وقرا نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة
وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض
ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه
قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وابه استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من
حسدهم والمشهور تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك
الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع
نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال
وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب
الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته و
بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من
ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة
صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل راى في
المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقرأ ورش والكسائي وابو عمرو
اذا قرأ بالادغام الكبير وحمزة اذا وقف بغير همز والباقون بهمز واشتقاقه من تذأبت
الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب
او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة
للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار
والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب
وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر و

او صالحين في امور دنياكم

وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية البزي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا

ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي
انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فاتوا به الى البئر فدلوه
فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه
ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها
القوه وكان فيها ماء فسقط ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاء جبريل بالوحي كما قال
واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى
عليهم السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من
حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف
فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم
لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد
المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم
عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشيا وعشى بالضم والقصر
جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال
مالكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق
في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا
ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه
بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة
اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او الحال من الدم ان
جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم
امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل

بحمل بصبغ وليستخبث فعاله يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه

جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى
لا شكوى فيه اى الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال
ما تصفون من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت
سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد
ثلثة من القائه فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان
مالك ابن ذعر الخزاعى فادلى دلوه فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف
فلما راه قال يا بشراى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه
كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير
الكوفيين يا بشراى بالاضافة واما فتحة الراء حمزة والكسائى وقرا ورش بين اللفظين
وقرئ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه
اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء
لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه
يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام منا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه
من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه
اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى مرجع الضمير
الوجهان واشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من
الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها
قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه فى يوسف من الزاهدين
الراغبين عنه والضمير فى كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه
لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل فى بيعه وان
كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف
وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة
لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر وهو
العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان
الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد امن بيوسف ومات
فى حيوته وقيل كان فرعون موسى لعاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم

يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد
باحوال الاباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلث
عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة واتاه خطاب الحكمة والعلم وهو ابن
ثلث وثلثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير
الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا
لامراته راعيل او زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى
تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا ونستظهر به فى مصالحنا او نتخذه ولدا
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة
شعيب التى قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وكذلك مكنا
ليوسف فى الارض وكما مكنا محبته فى قلب العزيز او كما مكناه فى منزله او كما انجيناه وعطفنا
عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف
فيها بالعدل ولنعلمه اى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس
ويعلم معانى كتب الله تعالى واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث
الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب
على امره لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته شيئا واراد
الله تعالى غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله
بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه
وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه
بلوغ الحلم اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وعلما يعنى علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على
انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقائه فى عنفوان امره وراودته
التى هو فى بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء
وذهب لطلب الشئ ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد
للتكثير او للمبالغة فى الايثاق وقالت هيت لك اى اقبل وبادر او تهيات لك
والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كاين واللام للتبيين كالتى فى
سقيا لك وقرا ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر
برواية ابن ذكوان بفتح التاء وكسر الهاء من غير همز كعيط وهى لغة فيه وهشام كذلك الا انه

هيت وقد روى عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهيت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بالشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفته الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله الف ولام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من وراءه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراء به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه الصلوة والسلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت

وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان الذي للاستقبال وبين كان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها ولسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك ليرين يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشتغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على السكاكين فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده

على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاماً او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام
والشراب تترفاً ولذلك نهى عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله
المتكأ طعام يحز حزاً كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكاً بحذف الهمز ومتكاء باشباع الفتحة
كمنتزاح ومتكاً وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكي يتكي اذا اتكأ
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل
اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر
او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله
واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن
جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيهاً له من صفات العجز
وتعجباً من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذف الفه
تخفيفاً وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام
للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشاً لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشراً لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو
على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم
وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال
الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة ولان جماله فوق جمال البشر
ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني
الذي لمتنني فيه في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعاً لمنزلة المشار اليه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلباً للعصمة اقرت لهن حين
عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره
ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن
وليكوناً من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغراً وصغاراً
والصغير من صغر بالضم صغراً وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت
فيه بالالف كنسفعاً على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب

جمع قلة وهي جرة

العريكة الطبيعة

رب السجن وقرئ بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها
زنا نظراً الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفوس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعاً لانهن
خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا
وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل من كان يسأل الصبر
والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب
من الصبابة وهي الشوق اكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل
القبيح او من الذين لا يعلمون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه
الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن
نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء
الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ثم ظهر للعزيز وقومه من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي
وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زماناً
حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين
وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى
بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق
انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال
احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمراً
اي عنباً وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق رأسي
خبزاً تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين
من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن
يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت
تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما
علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان
يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة
الانبياء والنازلين منازلهم في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي

الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان صح

ان يسقياه السم

الاسعاف قضاء حاجة

بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك واتبعت
ملة آبائى ابرهيم واسحق ويعقوب اوكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت
النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه
حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان
لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان ذلك اى التوحيد
من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتنبيههم
عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا
يتنبهون اومن فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون
اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه
او يا صاحبىّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون
شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على
دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا اشياء
باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة
والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار
ما تطلقون عليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه
الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريقة الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها
آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف
عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم يا صاحبي السجن اما
احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه
واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من رأسه فقالا كذبنا
فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما يؤول
اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما

نزل بهما وقال للذى ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان
ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأول الظن باليقين كقوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
اذكرنى عند ربك اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى فانساه الشيطان ذكر ربه او انسى
يوسف ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام رحم الله اخى يوسف
لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد
وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك انى ارى سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر
يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز
دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ
افتونى فى رؤياى عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور
وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية
العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى
فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اى هذه
اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير
للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه
اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الكاذبة
الباطلة خاصة اى ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة
ثانية للعذر فى جهلهم بتاويله وقال الذى نجا منهما من صاحبى السجن وهو الشرابى وادكر
بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ امة بكسر
الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يامه امها اذا نسى والجملة
اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن
يوسف ايها الصديق اى فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ

فانساه الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه صح

الاختزام
الكون

في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد
اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما
لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع
سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار
فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب
في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في
سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون
في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن
ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذر الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب
والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله
او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى
المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين
مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين
المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة
الالهية جرت على ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول
بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر
براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما لئلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل
على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقى مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت
في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فسله ان يفتش عن
حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة
للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع

اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد
لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه
اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق
عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأت العزيز الآن حصحص
الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك
ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن له ذلك التثبت ليعلم العزيز اني
لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه
او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله
لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع
الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك
عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه
والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس
لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى
والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله تعالى
من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة
وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو
على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء
بالعصمة او يغفر للمذنب المستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه
مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه
اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا
مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه عليه الصلاة والسلام
لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال
اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له
بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا

فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم
وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني
حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله
في امره لا محالة اثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب
التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده
وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل
من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا
والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا ولاجر الاخرة
خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء
اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات
وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما
وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي
والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر
على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب
سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم
وهم له منكرون اي عرفهم يوسف عليه السلام ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه
في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين
فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم
واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من
بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال
ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال
فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك

الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي
كل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به
ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين للضيف
والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي
معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا
لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ
حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام — يبتغي غلط
وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ
ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعوا به لعلهم يعرفونها
لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك يدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا
حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا
وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم
على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا
فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص
يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت
بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي
ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا
او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه
وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل

على صدقه هذه بضاعتنا ردت إلينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير
أهلنا معطوف على محذوف أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك
ونحفظ أخانا عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا ونزداد كيل بعير وسق
بعير باستصحاب أخينا هذا إذا كانت ما استفهامية أما إذا كانت نافية احتمل أن يكون
الجمل معطوفة على ما نبغي أي لا ينبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ذلك
كيل يسير أي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع
إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن يكون الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك
شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل إنه من كلام يعقوب ومعناه أن حمل بعير
شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن أرسله معكم إذ رأيت منكم ما رأيت
حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أي عهدا مؤكدا
بذكر الله لتأتنني به جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به إلا أن يحاط
بكم إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم
الأحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم أو من أعم العلل على أن
قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم كقولهم أقسمت
بالله إلا فعلت أي ما أطلب إلا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما
نقول من طلب الموثق وإتيانه وكيل رقيب مطلع قال يا بني لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من أبواب متفرقة لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين
في مصر بالقربة والكرامة فخاف عليهم أن يدخلوا كبكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم
بذلك في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين
وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته
اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما أغني عنكم
من الله من شيء مما قضي عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر إن
الحكم إلا لله يصيبكم لا محالة إن قضي عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة
للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدي
بهم ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي من أبواب متفرقة في البلد ما كان
يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال

٢٣٨
يوسف

قال يعقوب فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب إلا حاجة
في نفس يعقوب استثناء منقطع أي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته من أن
يعانوا قضاها أظهرها ووصى بها وإنه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما أغني عنكم
من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن أكثر الناس لا يعلمون سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر
ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل
روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي
فأجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني معه فيكون معي فبات
عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه وقال إني أنا أخوك فلا تبتئس فلا تحزن
افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
أي المشربة في رحل أخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى بها الدواب
ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتى
انطلقوا ثم أذن مؤذن نادى مناد أيتها العير إنكم لسارقون لعله لم يقله
بأمر يوسف أو كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه إنكم لسارقون
يوسف من أبيه أو إنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي
تتردد فقيل لأصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصلها فعل كسقف فعل به ما فعل
ببيض تجوزا لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون أي شيء
ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقدته إذا وجدته
فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من
الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وأنا به زعيم كفيل أؤديه إلى من رده
وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من
الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين استشهدوا
بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد
البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم أفواه الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد قالوا فما
جزاؤه فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف إن كنتم كاذبين في ادعاء
البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله
واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم وإلزام له أو خبر من والفاء

لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام
المضمر كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ
باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين
لنفي التهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه
وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه
واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب
وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان يجعل
ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي ولكن اخذه
بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وقرأ عاصم وحمزة
والكسائي باثبات التنوين وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم
انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي
علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه
لا فرق بين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص بالله قالوا ان يسرق بنيامين فقد
سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت
تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه
ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه
صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة
او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال
انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة
لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ
المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر
ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا
له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك
مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير
عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده لا
فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا

هذا ان مراده ان الله تعالى اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو
اخذت غيره كنت ظالما فلما استيئسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين
والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة
الهمزة على الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته
كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو
شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا
وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل اي ومن قبل
هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موضع
النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف
او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان
قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اي ما فرطتموه
بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر
حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم
او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك
والله لتتركنا او لاصيحن صيحة يضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر
ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو
خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق وما شهدنا عليه الا بما علمنا ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ
سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق
او سرق ودس الصاع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك
الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها
يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة
والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا
لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما
قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه وقد ...

الرزء المصيبة

والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ برقته فصبر جميل فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل
عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر انه هو
العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم
وقال يا اسفى على يوسف اى يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة
والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزاه كان
قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفى
الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا ترى الى يعقوب حين اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن
لكثرة بكائه كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه
دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من
يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم
مملو من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم
من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا
اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر اى لا تفتؤ
ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا
راسى لديك واوصالى لانه لا يلتبس يوسف بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة
الاثبات كان على النفى حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى
اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف
ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما
اشكو بثى وحزنى همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله
لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى واعلم من الله من صنعه
ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه ما لا تعلمون
او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت
فى المنام فساله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له
اخوته سجدا يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا
منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تياسوا من روح

روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها
العباد انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان
العارف لا يقنط من روح الله رحمته فى شىء من الاحوال فلما دخلوا عليه
قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا
واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او
قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان
وقيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق
علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها
واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه الصلوة والسلام
ان الله يجزى المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف
واذلاله حتى لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك
اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة
عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب
يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد
يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال
او لانهم حينئذ كانوا صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقراه ابن كثير وقالون
على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه
وقيل رفع التاج عن راسه فراه علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخى
من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له فى قوله قد
من الله علينا اى بالسلامة والكرامة انه من يتق اى يتق الله ويصبر
على البليات او على الطاعات وعن المعاصى فان الله لا يضيع اجر

المقل ثمر الدوم والدوم شجر المقل صحاح

المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى
والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال
السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال
لا تثريب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر
للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام
او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه
ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما
فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم
اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه
وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يأت
بصيرا يرجع بصيرا اي يصير بصيرا واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم
وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم
لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين
اقبل به اليه يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو
نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي
وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون
تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط
في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي
انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد
بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تيأسوا من روح الله
او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه

لا تثريب عليكم

هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى
ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي
انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
حتى نزل جبريل وقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما
دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا
وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا
سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها
منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب
تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من القحط
واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في
موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله
شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رأيتها ايام
الصبي قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن
ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا
اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي
لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء
في وقته وعلى وجه تقتضيه الحكمة روي ان يوسف ثم طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما
دخل خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان
مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله فقال جبريل امرني بذلك لقولك
واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل

فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه
انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما
توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة
والكرامة روي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان
يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلث وعشرين سنة
ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل
بحيث يمر الماء عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقل موسى الى مدفن آبائه وكان
عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون
ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول
عليه الصلوة والسلام وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه
الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب
وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت
احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة
كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت
على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما
تسئلهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا
ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد
شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في
السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون
فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطوون الارض وقرئ والارض يمشون عليها
يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته
الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا او نسبة التبني اليه او القول
بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل
في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تأتيهم غاشية

غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة
من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي
يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الى الله
وقيل هو حال من الياء على بصيرة متعلق بادعوا او حال منه بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر
في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه
وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا رد لقولهم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء
يوحى اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل
القرآن ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء وحمزة والكسائي
ملاونها على اصلها ههنا وفي النحل والاول من الانبياء من اهل القرى لان اهلها
اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من
المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار
الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي
افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى
اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم
فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في
الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل
الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل
الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من
النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله
من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريقة الوسوسة هذا وان
المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد
اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء
الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم

الترفه التنعم الوازع المانع

يرد الباٴثا اجاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة
على انهم الذين يستاهلون ان ينجاهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر
وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرى فنجا ولا يرد باسنا
عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان
في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة
لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القران حديثا مفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين
اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او غير وسط وهدى من الضلال ورحمة
ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون
الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية
وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وايها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه
انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة
الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك
من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص
او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على
الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا
او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد
اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرى عمد كرسل ترونها
صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض
الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ثم

استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة
المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة
معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل
واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا
كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على
الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها
الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء
اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا
ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن
كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع
الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي
الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها
فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا
اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها
رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع وبعضها دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك
القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب
السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب
وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر
في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان
بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان
ومتفرقات مختلفة الاصول وقرا حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو تسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة
وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب

لايكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما
ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب
قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء
عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث
انها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ءاذا كنا ترابا ائنا لفي خلق
جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد
اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية
وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم
المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها
عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه
المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالاتباع
الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركب
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال
والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه
ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال
وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات
المنزلة عليهم واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات
لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب
عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى
ولكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل

على علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان
اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ
ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في الاربعة الاحرف
حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء. الله يعلم ما تحمل كل انثى
حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام
وما تزداد وما تنقصه وتزداد في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس
عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة رحمهم الله روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع
سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني
شيخ باليمن ان امرأة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض
جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان
تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار
بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث
بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن
الحس والشهادة الحاضرة له الكبير العظيم الشأن المتعال الذي لا يخرج عن علمه شيء المستعلي
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ الليل وسارب
بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى
الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب
بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله لمن اسر او جهر واستخفى او سرب له معقبات
ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اذا جاء على عقبه صح
اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد
بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى
القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه
من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل
المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال

الغيبة وإذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء، وفيه دليل على ان خلاف
مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما
على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال
من البرق او المخاطبين على اضمار ذو واطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل
يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال
وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح
سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية
الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل
عليه الصلوة والسلام عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون
رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس
ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة
على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد
من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله
على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة
كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة
من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله
المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة ولعل اصله
بمعنى القحط اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد ٧ بمعنى شديد بدمع
له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة
فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما
من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد
بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة

رسول صلى الله عليه وسلم او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله
صلى الله عليه بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم
والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون
الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى
الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه
ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى
دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون
بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار
وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من
الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة
وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا
وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال
او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع
غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر
ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض
خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين
الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك
ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا لا يقدرون ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع يجلبوا اليها نفعا
الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء
رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة
والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم
ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله

خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم
خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى تشابه عليهم الخلق
فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا
شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق
قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد بالالوهية
القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء نفسها
فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه
بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين
البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر
فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار
يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون اظهارا لكبريائه
ابتغاء حلية طلب حلي او متاع كالاواني والات الحرب والحرث
والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل
الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على
ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر
الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ
الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما
وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء مجفيا به اي يرمي به السيل والفلز المذاب
وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض ينتفع بها اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح
المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل
ضرب المثل لبيان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة
او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا

به ويجوز ان يكون الكلام مبتدا لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب
وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم
جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب
والهمزة للانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب
ذووا العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد
الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله
عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين
العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من
الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق
الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ومخالفة الهوى ابتغاء
وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة
وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن
لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي
الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار
او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون
وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو
بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة
والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب
لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من
ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم

متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية
او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن
العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي حركتها
الاولين من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة
بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة في جنب الاخرة الا متاع
الامتعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا وبطروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه
فيما يستوجبون به نعيم الاخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق ورجع
عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان
الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي
اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الايات الذين امنوا بدل من من او خبر
مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء
منه او بذكر رحمته بعد القلق او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه القلق المضطرب
يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب
تسكن اليه الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز
الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل
او ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم ارسلوا اليهم
فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب
الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة
الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم
بارسالك اليهم وانزال القران الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية
عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن

وبالرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة
سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان
قرانا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القران
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا
وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القران لانه
الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما امنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية
وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
البساتين والقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره
من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب
مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال
الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عن
ما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات لكن ارادته
لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييئس الذين امنوا
عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن
عباس رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل
الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميئوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان
لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على
الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييئس الذين امنوا عن ايمانهم علما منهم ان
لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بامنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
ونقلقهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل
قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة فانهم
لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يزال يبعث السرايا
عليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان تكون تحل خطابا للرسول
صلى الله عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد
الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف المعاد لامتناع
الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا

تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة
من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم
والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف
او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر
للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقونها
والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه
بل اتنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمها
او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من
ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا
وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا
مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل
الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن
الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه
للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب
الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة
التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه
اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد
على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من
العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمؤمنين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم
يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف
شرائعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين

رقيب عليها صح
لله شركاء صح
وقرئ اتنبئونه صح
عليه
جنته صح

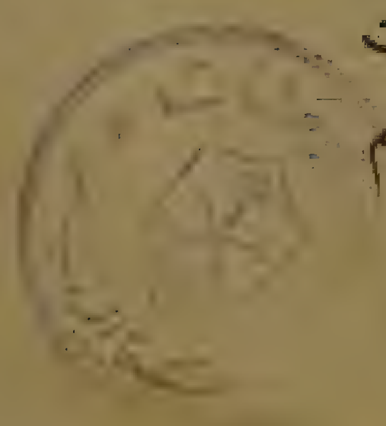
اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره
واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب
اليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك
من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك
ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا
والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال
ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعدما حولت
عنها بعدما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك
ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه
وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم
يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق
به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين
وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت
بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب
فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت
الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا
الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له
وهذا طلائعه اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على
المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال
وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال
اي نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم
بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين بهم

فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون
غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار
من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
بهم والسلام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا كما عرفت مع
او الكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة
على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن
الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو
اي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه
معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثاني وقرئ ومن
عنده علم على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه
من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى
صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن الله
يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصوده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه
لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة
نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف
للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل
وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء
يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس

عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا نكب وليس فصيحا
في صلة منه وجه عن تخلف التقدير ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا
عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل
للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال
بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله
للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه
عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق
بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى
امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة و
اضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب
القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولسن بضمتين وبضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه الصلوة
انه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح
يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبيين للعرب
فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو
العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج
فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه
وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر نعمائه
فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب
عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر
والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ
انجاكم من ال فرعون اي اذكروا انعامه وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب
بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام



ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف
عليه التذبيح ههنا وليس وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال
الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم
ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم
ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف
والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح
لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عاجلا
ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول
او مفعول على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن
في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته
محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفر الا انفسكم حيث
حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله تعالى والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم
اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء
عليهم السلام وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا
تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان
يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم
من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام
في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها

اشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع
بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته
لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو
ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين
في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب
الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي — جاءت
ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله
وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة
دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان
تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين
يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المرتبة او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا
به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان
نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم
في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان
النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله وما كان لنا ان
نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا
حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى
الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى الى قوله وما لنا
ان لا نتوكل على الله اي اي عذر لنا ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرف
ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن
على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار
عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من
توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان لا يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم
الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
للرسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل

لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكنكم
الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم لقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف
موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة او قيامي عليه وحفظي لاعماله
المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار
واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة
كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فانهم كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا
على ليهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات
متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من الفريقين
كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا
مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى
عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد
بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال
من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل
يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس ويأتيه
الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان
من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه
اي ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو
الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة
الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة الرسول فخاب رجاؤهم
ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم
وهي على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد
اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم
عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم

٣٥١

ابراهيم

...صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك
...في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام
برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء
فحبط فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم
مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق
الحق الم تر خطاب للنبي صلعم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين
ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق
عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض
استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل
الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه كما قال وما ذلك على الله
بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شأنه
كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا
لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم
فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة
انكشفوا لله عند انفسهم والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع
جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة
فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا
في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة
او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء
من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء
الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب
ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض الغناء
بعض الغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم
لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه
لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا
طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر

ودنياه

عنكم

ما لنا من محيص منجا ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار
وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت والمصدر كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء
من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا
ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان
لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو
الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب
وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبيين خلف وعده كالاخلاف منه
وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وليس هو من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية
بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا
تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على
استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله
كان في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما
انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل
مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم
تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء
لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت
بما اشركتموني من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم
حين رددت امره بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت ذو التعدية الى مفعول
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال
ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن
ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن
ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم
ألم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة
طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها
او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد
قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها
في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق
من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ
تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام
وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان
عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت
الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب
عن حق او دعا الى الصلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة
بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد
بهما ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم و
تمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس
وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا
عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال
ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عليه السلام فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك
قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل
الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما
كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله و
اسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلعم فكفروا
ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي
النعمة

موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في
الكفر دار البوار دار الهلاك لحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها
او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر بفعل يقدر ناصبا لجهنم وبئس القرار
اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن
كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ
لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل
الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه
المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار ولان المخاطب
لانهماكه فيه كالمامور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة
تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه
اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة جوابه اي جواب قل
وينفقوا مما رزقناهم فكانه اذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك
فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما
حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شيء تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجزائه
ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصب
على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي
سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع
فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة
فيشفع له خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق
السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول
لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب
بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته
الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل

ذلكم

بصيغة للا

في البحر

تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان
في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل و
النهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع
ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد
بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال وما يحتمل ان يكون
موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
اي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال
اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا
تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد
الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه
بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ذا امن لمن فيها والفرق
بينه وبين قوله هذا بلدا آمنا ان المسئول الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي
الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني ان نعبد الاصنام و
اجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني
شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول
احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت
لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار يقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب
انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن
واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني
فانه مني اي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان
تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره
حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي
او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع
يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به
او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع الطوفان منه فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا
اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه و

سئل

روي

ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فنا
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا الطير
ثم فقالوا لا طير الا على الما فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك
الباننا في الباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي
اسكنتهم هذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك
وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقص
من الدعاء توفيقهم وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء باقامة الصلوة كانه طلب منهم
وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس
ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ولحج
اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرا هشام
تخلف عنه بياء وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان
اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة
والاكتفاء الوجه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا
ودادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوي من هوى يهوى
احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
يجبى اليه ثمرات كل شي حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية في يوم واحد
انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا
مصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكن ندعوك اظهارا للعبودية
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجا
الى الله وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم
ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة و
لما فيها من آية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة و
لمائة واثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا
اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد

السماع الى الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب له
سؤله حين وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجودها رب اجعلني مقيم الصلوة
معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه
باعلام الله واستقرار عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل
دعائي واستجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لابوي وقد تقدم
عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف
المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا
تخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته
جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم
يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم
على المرئي لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشي مقنعي رءوسهم رافعيها
لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة و
الدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان
جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول يوم عذابهم وهو مفعول ثان لانذر
فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب
عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك
ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما
لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة
دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا
بطرا وغرورا ودل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم
لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله

عبادتي ط

كان الرحل منه فوق صعل
من الظلمان جؤجؤه هوا
الصعل الصغير الراس
الطايب والسقنقة صدرها

التبوء

واقسموا جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام و
بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه
في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال
من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل
بهم من الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال
الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم
به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال
مثل لامر النبي صلعم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال
الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على
انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من
فتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله
لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول
الثاني ايذانا بانه لا يخلف وعده اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف و[عده]
احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من
اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام
او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل
بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما
اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه [السلام] قال تبدل
الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه
الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الاول ان يكون الارض من جهنم
والسموات من الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين و
برزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين

بدلناهم

للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد
غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين
قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع
الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم
بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق
بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل وقال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى
صفادا تعض بساعد وبعظم ساق واصل الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران
لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل
فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة
لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل
ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم
والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية
او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا
بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها
فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم
يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة
ما كسبت او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين
يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب
عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله
ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا
ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به
انزل وتلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد
بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا
الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ
ثلث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى
كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفايزين
بهما وعن رسول الله صلعم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وبعدد

عليهم

من لم يعبد

ج

سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة
وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى
بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول
النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالتاء
والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها
وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب في
اخباره كالماضى في تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة
كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يبادروا
اليه فكيف وهم يودون كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة في
الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولهم حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة
عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط
من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه
للنجح وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدى اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو
كقوله الا لها منذرون ذكرى لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوق
بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى
يا ايها الذى نزل عليه الذكر نادوا به النبى عليه السلام على التهكم الا ترى الى ما ادعوه له ونحوه قوله انك لمجنون
ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لوما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين
التمنى لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في
دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم
ننزل بالنون وابو بكر تنزل الملائكة بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان ياتيكم بصور
تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بال

ايمان وقيل الحق الوحى او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء لشرط
مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم و
لذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه
معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان
الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له والضمير في له للنبى عليه السلام ولقد ارسلنا من قبلك في شيع
الاولين في فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع و
هو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى عليه السلام وما للحال لا تدخل الا مضارعا
بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين
والسلك ادخال الشئ في الشئ كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل
على ان الله يوجد الباطل في قلوبهم وقالت المعتزلة للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به
له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير
مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها
في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافى
كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر
في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من
السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او
تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت
ابصارنا سدت بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة
من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الآيات
وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر
ولقد جعلنا في السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيآت والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة
مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيآت البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على
قدرة مبدعها وحكمة صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها
ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان
واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة
في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات

دعا

سُدّت من السدّ

المقترحين

فلما ولد عيسى منعوا عن ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا من كلها بالشهب ولا تقدح فيه تكونها
قبل المولد لجواز ان تكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع
فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر
بمقدار معين تقتضيه الحكمة او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او مقدر او
وزن في ابواب النعم والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس
وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل
لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان
الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين
مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز
ان لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد بما
انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من
شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره
او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا تحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله
من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد
في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا
الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحوامل كما شبه ما لا يكون
كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله
ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه
او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة
الهواء في بعض اوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي غوره
فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام
القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة
على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال

ومن لم يخرج بعد ومن تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا
شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على كمال قدرته يدل
على كمال علمه وقيل رغب رسول الله صلعم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان
امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلعم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر
بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر
والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة
على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي
يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حما طين تغير واسود من طول
مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حما مسنون مصور من سنة الوجه او
مصبوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب صورته في القوالب من السن وهو
الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك
طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به
فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان
يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة
واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة
كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجسام المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها
اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب
ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة
الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه
ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف
جسم آخر ولما كان الروح يتعلق بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة
الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافه
الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة
كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة

على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا الا
ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن ابليس ابى وان جعل
متصلا كان استينافا على انه جواب سايل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في
ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان
اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اخس العناصر
وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة
الاعراف قال فاخرج منها من السماء او من الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك
اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنها
زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر ينسى عنده هذه
انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل
قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون
اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون
الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس
وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان تكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف
العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل اولام
العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من
ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن
بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما
اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي
لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم
بافعال الله خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له
بامره اياه بالسجود لادم او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة
غيه وتسليط له على اغواء بني ادم بان الله علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا
يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين
اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو و

الكوفيون بالكسر في كل القرآن الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على
انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من العلو لرفعته
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه
وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان
عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض
والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون
الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه
الى تناقض الاستثناءين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير
او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم
مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص
العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين
العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الزاي ثم الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات
وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله
ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الاية وقرا نافع وابو عمرو
وحفص وهشام وعيون والعيون حيث وقع بضم العين والباقون بكسر العين ادخلوها
على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين
او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال ونزعنا الفنا بين قلوبهم او في الجنة بتطهير
نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال
من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل
فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين

علو الشرف

السادسة
عليه بالتشديد
ثم اجراء الوصل
مجرى الوقف

في الانعام

من ضميره لانه في معنى متصافين وان تكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب
استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي
توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف
ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم
عليك سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم
امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس بتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل
من اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه
ولا تواجل من واجله صح
وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال
ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر او انكار لان يبشر به في مثل تلك الحالة
وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشرون او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا
يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير النون مشددة في كل القرآن على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين
ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا
لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه
قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون
طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم
ايها المرسلون اي فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس
البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم
ولانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها
انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا
اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال
شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط
منهم لنهلك المجرمين ونجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم

وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى
هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا
من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي
لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر
عن عاصم قدرنا بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى
العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل
الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله لما لهم من القرب والاختصاص
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة
ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون
فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك
فاذهب بهم من الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب
وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم
وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول
ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب
وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون
الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا حيث وتؤمرون
الى الضمير المحذوف على الاتساع كما في يا سارق الليلة وقضينا اليه اي واوحينا اليه مقضيا
ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على
البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم
يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او
من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء
اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة
ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية
وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا

يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم
قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت
فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبي صلعم وقيل لوط
قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه
لكثرة الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم
وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون
نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي صيحة هائلة مهلكة
وقيل صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها على المدينة
او على قريتهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين
طبخ عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات
للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك
لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر
احدهما منبها على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء
لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا
من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين
المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل
على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط
غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة
اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك
ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
قيل هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم

ذلك في هود صه

حالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد
علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير
والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي
الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من
المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته والفاظه او قصصه
ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى و
اسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها ومن للتبعيض والقرآن
العظيم ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض والعام على الخاص
وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه
كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر من اوتي القرآن
فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام
وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب و
الجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن
عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم و
ارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا
كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه
والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن
الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا
صالحا. وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون
هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل و
بعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا
ببعض كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلعم وقوله ولا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا لها
الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلعم العاضهة و

وكفروا ببعض ما نقرونه ... الى الفرقان منه

المستهزئين تعضية والفاعل جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين
او مبتدا خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى
السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من
صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما
مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا
تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف
قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن الطلاطلة وعدي بن قيس والاسود بن
عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف
تعظما لاخذه فاصاب عرقا من عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة
فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات و
الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها اخر
فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من
الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك
يكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من
المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي
الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة
لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك
الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع
لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب
الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون
تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على
وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم
ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلعم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا

تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل
او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به
علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن
كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر
تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده
ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا
انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا
انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي
الدال على القول او مصدرية لانه في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او
مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على
التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة
العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل
على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك
لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل و
اوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر
في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه ليس من قبيل الاجرام خلق
الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق
مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف
اتى النبي صلعم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل
والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم
بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها
ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون
ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او
لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة
فعلى سبيل التداوي والتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها
بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل
اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون
ها

١١٤
السرح

جافلة الفروع ثم يأوي إلى الحظاير حاضرة لأهلها وقرئ حينًا على أن تريحون وتسرحون
وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إن لم تكن
من أن تحملوها على ظهوركم إليه إلا بشق الأنفس إلا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهي لغة فيه
وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب
نصف قوته بالتعب إن ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم
والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام لتركبوها وزينة أي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة
وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس
بفعله ولأن المقصود من خلقها الركوب أما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى
هذا يحتمل أن يكون علة لتركبوها أو مصدرًا في موضع الحال من أحد الضميرين أي متزينين
متزينًا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد
منه غالبًا أن لا يقصد منه غيره أصلًا وتدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين
على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج إليها
غالبًا احتياجًا ضروريًا أو غير ضروري أجمل غيرها ويجوز أن يكون إخبارًا بأن له من الخلائق
ما لا علم لنا به وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل إلى الحق أو إقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلًا أو عليه قصد
السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه
الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال
ومنها جائر حائد عن القصد أو عن الله وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق على الله أن يبين
طرق الضلالة ولأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر إنما جاء بالعرض وقرئ
ومنكم جائر أي عن القصد ولو شاء لهداكم أجمعين أي ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل
هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي أنزل من السماء أي من السحاب أو من جانب السماء ماء لكم
منه شراب ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم
حصر المشروب فيه ولا بأس به فإن مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله
فأسكناه في الأرض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت
على الأرض شجر قال يعلفها اللحم إذا عز الشجر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية وأسامها
صاحبها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ أبو بكر
بالنون على التفخيم والزيتون والأعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها إذ لم تنبت في الأرض كل

والنخيل

احمالكم هـ

الضلالة

[illegible]

ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانيًا هو
أشرف الأغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها إن في ذلك
لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فإن من تأمل أن الحبة تقع في الأرض و
تصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منها الشجرة وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها
ثم تنمو ويخرج منها الأوراق والأزهار والأكمام والثمار ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة
الأشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطباع السفلية والتأثيرات الفلكية إلى
الكل علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الأضداد والأنداد ولعل فصل
لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بأن هيأها لمنافعكم مسخرات بأمره
حال من الجميع أي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره
أو لحكمه وفيه إيذان بالجواب عما عسى يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأو
ضاعها فإن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضًا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه
المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعًا للدور والتسلسل أو مصدر جمع
لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميمًا للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضًا إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لأنها تدل
أنواعًا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات وما ذرأ
لكم في الأرض عطف على الليل أي سخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفًا ألوانه أصنافه فإنها
تتخالف باللون غالبًا إن في ذلك لآية لقوم يذكرون أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر
ليس إلا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب و
الاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحمًا طريًا هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم فيسرع
إليه الفساد فيسارع إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذبًا طريًا في ماء زعاق وتمسك به
مالك والثوري على أن من حلف أن لا يأكل لحمًا حنث بأكل السمك وأجيب عنه بأن مبنى الأيمان على العرف
وهو لا يفهم منه عند الإطلاق ألا ترى أن الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف أن لا يركب دابة
بركوبه عليه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فأسند إليهم لأنهن
من جملتهم ولأنهن يتزين بها لأجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من
المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة
ولعلكم تشكرون أي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه أقوى
في باب الإنعام من حيث أنه جعل المهالك سببًا للانتفاع وتحصيل المعاش وألقى في الأرض رواسي

ساق م

الآية به

شاء

الزعاق الصوت

على أن م

جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال
كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى
سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت
كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد
على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا
لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك
وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم
بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير
لقريش لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج
الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء
خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق
انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته
لان يساوي ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن
لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى
اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكان
قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه
لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحصل عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على
تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله
لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة
على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين يدعون من دون الله اي والالهة الذين يعبدونهم من دونه وقرأ عاصم
ويعقوب بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا
لتنتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها
ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات
لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي

يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت
بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما
بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم
اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا
للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا
بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول
وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل
او مصدر انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا
اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم
او على الفرض على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة
فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من
يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال
وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل
الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات ليمكروا
بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان
ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون فلا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا
ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
ويقول اين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرأ
البزي بخلاف عنه اين شركاي بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون
المؤمنين في شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله تعالى
قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم

ويقولون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان تكون لطفا لمن سمعه الذين
تتوفاهم الملائكة وقرأ نافع بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا
واخبتوا حين عاينوا الموت قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا
للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما
كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع
الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء
بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله
او اولو العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف
عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل
ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال
معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم
من ياتيهم بخبر النبي صلعم فاذا جاء الوافد قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا لهم
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير ولثوابهم
في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم
بدلا وتفسيرا للخير على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف لتقدم
ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه
على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم
وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه
في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر
لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم
وقرأ حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل
من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا

الكفار م

انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء
سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا
للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ لم يقع فما الفائدة فيهما او انكارا
لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما
شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعد
تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى
من شاء هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا
بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى
من اراد اهتداءه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي
ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله و
اجتنبوا الطاغوت بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان
بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على
فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من
حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر
قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت
عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين
ينصرونهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال
الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد
لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده
او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم
يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور
نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين

لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا
يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو
المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض
قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن
له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب
ابن عامر والكسائي فيكون هنا وفي يس عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلعم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر
بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله صلعم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة
حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من
المهاجرين عطاءه قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة
افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على
اذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا
يوحي اليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك ما ذكر في سورة الانعام فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى
لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة
او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه
رأى جبرئيل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم
بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل بم ارسلوا
ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات
كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعول
او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط

للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه
لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه وما تشابه
عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم
يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا السيآت اي
المكرات السيآت وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء والذين مكروا رسول الله وراموا صد
اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضه قال
على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عليكم بديوانكم لا تضلوا
قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف
رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله استفهام انكار اي قد راوا
امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما
موصولة مبهمة بيانها من شيء يتفيؤ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة
وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها و
شمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة عن يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين
وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم
داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع
والاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب
وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس
وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة
لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها
داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل
او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لان الكواكب يظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الظلال في اول النهار يبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي

بغتة ... او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا ... وهم متخوفون او على التنقص

من شيء

المحبوسون

مباءة حسنة

من الارض وعند الزوال تبتدى من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد
ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد
لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان
الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف
جبرئيل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة
ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما
او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله
حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله
وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف
الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة
مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان
المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه وايماء بان الاثنينية تنافي الالهية [illegible]
فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فـ
الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين الطاعة
واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي
وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه افغير الله
تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله واي شيء اتصل بكم من نعمة
فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان
استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا
فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما
فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان تكون من
على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم
كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام
الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا علم لها

فانا ه
لمن كفره
بكفرهم
الو

...اد فيكون لها او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع على ان العائد
محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من
الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد
لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له
من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيه الرفع بالابتداء والنصب
بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول
لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه
مسودا او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشويه وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به
من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب
ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون
لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة وهي الحاجة الى
الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن
خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او
دابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن
آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه
لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل
هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين
حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون
ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال
وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم
واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على
انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط
في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا

الضمير
لهم
البنوه
واستبقاء

بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم
او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان
للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي
امثالهم فالولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما
انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والعدل واحوال المعاد واحكام
الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك
لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم
نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه في سورة
المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق و
اكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى
فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم هنا وفي المؤمنين من بين بالفتح ه
فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث
وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة
اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله
ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا
يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك
المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع
الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان
انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى
الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع لمجاورته فيبيض لمجاورة
لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد
مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به
اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونه
والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدا منه الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا

يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق
مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن
ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها
وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا
او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير
على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر ومنه
السكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة
على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق
ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الآيات و
اوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز
ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم
او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن
الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل
ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم
كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل
فاسلكي مر
فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي
راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة
ذللها الله وسهلها او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها
استئناف عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل
والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار و
الاوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها
اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا
كان ه
اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واحمر واصفر
واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية
او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه

يشعر بالتبعيض ويجوز ان تكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال
ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل ثم ذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه
عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما انشط من عقال وقيل
الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص
النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه
الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو تسعون سنة وقيل خمس وسبعون
لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية بالنسيان وسوء الفهم ان الله عليم
بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم
يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالي يتولون
رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء
الملاك والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة
موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق
على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون
ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له
شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحد انه من عند الله او حيث انكروا
امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون
بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون
اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا
او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان
على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ او الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل
يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله
هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما
للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا

نسل

من في البعد ثم

من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به
فبدل منه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه و
توحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي لا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له
مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما
تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم
جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه
يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه
فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو
ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا و
مثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو ينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع
الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام
التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول
والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر
ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار
والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم
لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله و
هو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ
يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي
لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق
ذو كفاية ورشد ينفع الناس يحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط
مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما
قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه
وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض

ينصرف ومو

يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس
وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر القيمة
في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب
او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدئ فيه فانه تعالى يحيي
الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة
وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه
ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم
دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة
او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جاهلين
مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون
بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر
الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها
لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن
عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب المواتية في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن الا الله
فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات
تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران فيها وامسكها في الهواء على خلاف
طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون
فيه وقت اقامتكم كالمتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر
من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة
يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم
وقت الحضر والنزول وقرأ الحجازيان والبصري يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام
لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لا
تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من
الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
التخييل

كلمح م

وخلق الجو بحيث يمكن الطيران ح

ولا تتبع وقرئ ولا تقف م

اسراء

ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع من قاف اثره اذا
قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع
الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا و
استعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور و
يؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت
ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه
الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء
الا غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل بعد
منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها
مسؤولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب
السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه
وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على
المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا
اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح
النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك
وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك
اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المحدودة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مأمورات ومناهي
وقرأ الحجازيان والبصري سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه
خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا
وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة
والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة
بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه
فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها
ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم
ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا

المذكورة م

قوله او لا تجعل مع الله م

[illegible]

الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم
البنون واتخذ من الملائكة اناثا لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام [illegible] بنات ق ح
المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن
ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا هذا القول في هذا المعنى او اوقعنا
فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا ليتذكروا ح
الذكر الذي بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه
كما تقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع
الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما
امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى
ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعاداة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود
والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان
وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب
لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم
تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور
منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا
ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم تسبح بالتاء انه كان حليما حين لم يعاجلكم
بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا [illegible] يحجبهم عن فهم ما تقرا عليهم مستورا ذا ستر
كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا وهي حملي م
يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه
للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة
صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان

[كرا]هة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي
منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم من استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ
والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده وحده
غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا ولوا على ادبارهم
نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود
نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم
وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم يستمعون اليك مضمرون له وحين هم
ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على ان تناجيهم بقولهم هذا ظلم والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر
وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الطعن بوجه فيتها
[و]يخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا
حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم
من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما
قبلها وخلقا مصدر او حال قل كونوا حجارة او حديدا جوابا لهم او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك
الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة
قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم
ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او
الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم
فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما
وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار والمحاسبة للجزاء بحمده حال منهم اي حامدين
لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون
مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي

وانجعلنا م
يحد وحده
بمعنى واحد

نفور

ابجلة م

يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيـ
ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفسا
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة . ربكم اعلم بكم ان يشاء يرحمكم او ان
يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا
بانهم اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم
وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلعم فنزلت وقيل شتم عمر رضـ
فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولاية
من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال
والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل
رسول الله صلعم وقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته
الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكير زبورا هنا وتعريفه
في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده
قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد واتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور
فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون
يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله الى غيركم اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هولاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعات ايهم
اقرب بدل من واو يبتغون اي ~~هولاء الالهة~~ يبتغي من هو اقرب تدعونهم حذف المفعول منهم
الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كساير العباد فكيف تزعمون
انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من
قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل
وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات
وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاو
الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يومن ثم ذكر بعض
المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة بسوالهم مبصرة بينة ذات ابصار

وبصائر او جاعليهم ذوي بصائر وقرى بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم
بسبب عقرها وما نرسل بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان
لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعث
اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف مثل ما نرسل الـ
رسل واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش
يعني اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما
جعلنا الرويا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة
فسر الرويا بالروية او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة
وحكاها حينئذ ولعله رويا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه
لما ورد ماء بدر قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش
فسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال
هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم
والشجرة الملعونة في القران عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان
محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة التي تبتلعها قدر ان يخلق في
النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل
الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت
بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة
الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا
الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته
من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي
اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء لعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد
الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة
صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم
القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم
بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ
من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير

او نفرٌ سنًا من خلقه ذا شهوة ووهم وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو
طرده وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤكم و
جزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات
جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار وفرة
فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف
من استطعت منهم ان تستفزه الفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم
وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة
ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع الراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون
تمثيلا للتسلط على من يغويه بمغوار صوّت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده
حتى استاصلهم وقرا حفص رجلك بالكسر وقرئ بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه
وجمع الرجل ود جالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف
فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته
عبد العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم
بالمواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب
ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين
تخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في
الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون
اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون
ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانه حينئذ لا يخطر ببالكم سواه
ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اعانتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق
الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه
للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من
قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم
عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده

وغيره ان تخسف

ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا فان الجوانب والجهات في
قدرته سواء لا معقل يومن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي
ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه
في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح
لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب
اشراككم او كفركم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف
ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز
بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد
والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية
والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما
ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده
وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم
فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل
بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف و
الكرامة فالمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل
بعض افراده والمسالة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار
اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا
في لغة من يقول افعو في افعى او على ان الواو علامة الرفع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير
وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر
كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب
اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل
بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال
عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين كتابه
بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة باتيان
الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما
يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى مشعر

ذلك فان الاعمى لا يقرا الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في
الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة
المهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني
للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان اصل التفضيل تمامه
بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما
فكانت معرضة للامالة من حيث تصير ياء في التثنية وامالهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في الاسلام حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا فان تمتعنا
سنة وان تحرم الني واديناكما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل
في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام
هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي او
حينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا
لو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا
اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على
صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون
فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان
العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ
الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من
اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا
نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من
الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا
الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا
مقام النبي صلعم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن فوقع
ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا
منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا يعمل

اذا كان معتمدا لما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك
وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من
بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا
تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك
الشمس حين زالت فصلى وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل
الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت في ثلث الى
غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا
لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراة فيها ولا دليل فيه لجواز
ان يكون التجوز فيها لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب
فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار
او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير
من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال
ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك
الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق
ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة
على الصلوات المفروضة او فضيلة لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام
الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان
الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة انتصابه على الظرف باضمار فعله
فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني
اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا
ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا
عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله
فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان
او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج

خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على
الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض
وقل جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان
الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة و
ستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد
فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح
نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه
ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا
خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى
بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية
عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء
على القلب او على انه بمعنى نهض واما الكسائي وخلف ففتح النون والهمزة في السورتين وامال
فتحة الهمزة فيهما حمزة وامال ابو بكر فتحة الهمزة هنا واخلص فتحها هناك وورش على اصله في ذوات
الياء واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤوسا شديد الياس من روح الله قل كل يعمل على طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين
ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات
الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان
السوال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه
عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب
عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبرئيل و
قيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا
تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات
المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه
الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض
تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب وما رب العالمين

بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب
فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي وساعة
تقول هذا فنزل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه بسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية
ان يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء
الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به
علينا وكيلا من يتوكل علينا باسترداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك
فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته
غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله و
انزال الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل
التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي جواب الشرط بلا جزم لكون
الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه
عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك علينا
وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من
كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا
كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي مثل ولم يرضوا
الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا واقترحوا بعد ما لزمتهم
الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف
والارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء
اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان
يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله او نسقط عليهم كسفا
من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي و
يعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في
غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى

لكان

مفعول كطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته
ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال من الملائكة
محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله ومن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها
او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ
به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحهم او تنزيها لله من ان ياتي
او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال
الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على
الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث
الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد و
القرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون
كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ليمكنهم من الاجتماع
به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط
بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا ويحتمل ان يكون موصوفا
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار
المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال
انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من
دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه
قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على
ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن
استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى
النار مؤوفي القوى والحواس ماويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم

زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم متلهبة مستعرة فكانهم لما كذبوا
بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله
ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه
من الابتداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح
الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه
وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف
والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم
مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشئ فانما يؤثره
ن لعوض يفوقه اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان
قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم و
انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان و
السنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلعم عنها
فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا يوم السبت فقبل اليهودي
يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة المذكورة الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك
لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم اليهود
خاصة ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسئل
بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم
ويؤيده قراءة رسول الله صلعم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او
سال على هذه القراءة او فاسال يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم
او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او تعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا
لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة
اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصب بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر

باضمار اذكر على الاستئناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط
عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما
انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك
تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين
فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ
ان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان
يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من
بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيامة جئنا
بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق الذي اقتضته الحكمة المقصود انزلناه وما نزل الا ملتبسا بالحق صح
وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم
من تخليط الشيطان ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه
نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه و
قرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على
تؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا
على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم
عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد
آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة وعرفوا حقيقة الوحي و
امارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك
الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قال تسل بايمان العلماء عن ايمان
الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون
على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد على فترة
من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا

لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال او السببين فان
الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين
من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه
لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة فالمراد على الاول
التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات
الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله فله الاسماء
الحسنى وقيل الاولى لقوله قبل الحمد ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا ما عوض عن
المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية للذات لا للاسم وكان اصل
الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل
عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين
فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك
سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان
يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها
ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من مذلة به
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا ما يعاونه ويقويه ما يشاركه
ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم
على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان
العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه
في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل
فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة
والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم